الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

المعهد: الآداب و اللغات
القسم: لغة وأدب عربي

المرجع:.....

دلالة المكان في شعر "حسان بن ثابت"

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة : أدب عربي **التخصص : أدب عربي قديم**

إعداد الطالب(ة): **إشراف الدكتور(ة):**

فوزية سعيود **رابح الأطرش**

السنة الجامعية : 2013/2012

مقدمة:

إن المتأمل في الشعر العربي القديم يجد ثمة علاقة بَيِّنَة تربط بين الشاعر وبيئته وتتخذ من المكان عنصرا أساسيا يضفي على هذه العلاقة صبغة خاصة.

وقد حاول هذا البحث الموسوم بـ "دلالة المكان في شعر حسان بن ثابت" دراسة المكان وصوره عند عالم من أعلام الشعر العربي القديم، حيث يتجه هذا البحث أساسا نحو المكان الذي يعتبر عنصرا مهما في تشكيل بنية النص الشعري، من خلال علاقته بالإنسان لكونه يعد انعكاسا لسلوك صاحب النص، فضلا عن ذلك فهو يثير إحساسا بالماضي والحاضر.

إذن ، فالحديث عن المكان هو حديث عن عنصر مهم من العناصر المكونة للنص الشعري.

وعليه فقد جاء هذا الموضوع نتيجة جملة من الأسباب لعل أهمها ما يلي:

البحث عن مدى حضور المكان في شعر"حسان بن ثابت"، ولتوضيح الدلالات التي تحملها تلك الأمكنة الموظفة سواء أكانت بحقيقتها أم برموزها.

وتهدف هذه الدراسة إلى تقديم إضافة إلى الدراسات السابقة، وتبيان دلالة المكان من خلال رصد وتحليل صوره، لأن معظم الدراسات السابقة التي عالجت موضوع المكان ركزت على المتنى الروائي، وكأنها توحي بأن المكانية خاصية سردية.

وعليه فقد سار هذا البحث وفق خطة تضمنت مدخل، وثلاثة فصول، وخاتمة تصدرتها مقدمة حيث:

تناول المدخل مفهوم مصطلح المكان عند اللغويين، وعند الفلاسفة من القدماء والمعاصرين، ثم حدد مفهومه في ضوء الدراسات الأدبية الحديثة، ثم لمحة عن المكان في العصرين الجاهلي وصدر الإسلام.

أما الفصل الأول فخصص لدراسة المكان والغرض الشعري، وكيف تشكل المكان مع أغراض الغزل، والوصف، والمديح، والفخر، والرثاء، والهجاء، حيث ربط البحث من خلال المكان بين النص الشعري وبين الشخص الممدوح وهكذا مع مقدمات القصائد الغزلية وقصائد الرثاء، والفخر، والوصف، والهجاء.

وقد أفرد الفصل الثاني لدراسة صور المكان ودلالاته، وهذا من خلال رصد وتحليل صوره، وقد ركز على مجموعة من الأماكن:

الطلل، المدينة، الأماكن الطبيعية (الصحراء، الجبال، الكثبان، الوديان، الحرار، المياه)

الأماكن المقدسة(البيت الحرام، المساجد، موضع رمي الجمرات، الحجرات، ماء زمزم...)

المكان الحلم وقد كان في قسمين:

- المكان الحلم(طيف الخيال) الذي كان وجوده مرهونا بالتخييل.

- المكان الحلم غير المعيش المتمني الحصول عليه: هذا المكان يلغي الماضي والحاضر ويتطلع إلى المستقبل.

ثم الأمكنة الحربية(كبدر، وأحد، ومؤتة...).

بينما اهتم الفصل الثالث برصد أهم الظواهر الفنية ذات الصلة بالمكان، وركَّز بخاصة على علاقة المكان بالصورة الشعرية، وبين الكيفية التي ينبني بها المكان من خلال صور شعرية: من تشبيه، واستعارة، وكناية.

وقد تطلبت هذه الخطة المنهج الوصفي التحليلي، الذي تمَّ من خلاله الوقوف على الظاهرة المكانية في شعر "حسان بن ثابت"، وقد أفدت من المنهج التاريخي في المدخل.

وقد تطلب هذا البحث جملة من المراجع أهمها:

- الزمان والمكان في الشعر الجاهلي. للدكتور: باديس فوغالي.
- المكان في الشعر الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة للدكتور: محمد عبيد صالح السبهاني.

وأخيرا آمل أن أكون قد وفقت في هذا البحث، فإن كنت قد وفقت في شيء منه فإنما الفضل لله (عز وجل)، وللمشرف الكريم.

ولا يفوتني أن أتقدم مرة أخرى بالشكر الجزيل والامتنان الكبير لأستاذي ومشرفي الفاضل الدكتور "رابح الأطرش" على توجيهاته السديدة، وعلى ما أولاني من رعاية كريمة، وعناية عظيمة فجزاه الله عني وعن أهل العلم خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة على تفضلها قراءة هذا البحث وعلى ما ستقدمه من تصويبات ستسهم إن شاء الله في إثراء هذا البحث.

أتقدم أيضا بالشكر والعرفان إلى معهد الآداب واللغات، وإلى الأساتذة الذين أعانوني وإلى كل من قدم لي المساعدة.

والله أسأل أن يلهمني السداد في القول والعمل، إنه سميع الدعاء.

أولا . المفهوم اللغوي للمكان:

وردت لفظة المكان في المعاجم اللغوية القديمة و المعاصرة بمعان و دلالات متقاربة

فقد جاء في قول"ابن منظور" تحت الجذر«كون» ما يلي: «المكان: الموضع، والجمع أمكنة وأماكن، توهموا الميم أصلا حتى قالوا: تمكن في المكان[1].

وقد أعاد"ابن منظور" الحديث عن لفظة المكان تحت الجذر«مكن» فقال:

«المكان: الموضع والجمع أمكنة، كقذال و أقذلة، وأماكن جمع الجمع.قال"ثعلب": يبطل أن يكون مكان فعالا لأن العرب تقول: كن مكانك، وقم مكانك، واقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر من مكان أو موضع منه. وقال: وإنما جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية، لأن العرب تشبه الحرف بالحرف. والمكان بالمكان واحد، لأنه موضع لكينونة الشيء فيه»[2] .

يؤكد "ابن منظور" أنه على الرغم من ذكره المكان ضمن الجذرين «كون»و«مكن» أن المكان مشتق من « كون » وليس من «مكن».

و كذلك كان مذهب "الفيروز أبادي" حيث جاء تحت الجذر«كون» ما يلي: «"كون" الكون الحدث كالكينونة.والكائنة: الحادثة. وكونه: أحدثه والمكان: الموضع، كالمكانة جمع أمكنة وأماكن، والمصدر الكون، والكيان والكينونة، والمكانة: المنزلة»[3]

و جاء في «المنجد في اللغة العربية المعاصرة» وتحت الجذر«كون»:

---

(1) - ابن منظور، لسان العرب ،ضبط نصه وعلق حواشيه، خالد رشيد القاضي، ط1، دار صبح، بيروت، لبنان واديسوفت الدار البيضاء، 2006 م، ج12، ص ص185،186.

(2) – المرجع نفسه، ج13، ص157.

(3) - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ضبط وتوثيق، يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان 1431 هـ –1431 هـ ، 2010م، ص 1107.

«مكان: جمع أمكنة وأماكن، موقع، مركز، موضع، حيز، مكان مكشوف، مكان مغلق

مكانة: مرتبة اجتماعية »[1]

فقد أضاف هذا القاموس المعاصر بعض المرادفات أو المعاني للفظة المكان وهي

مركز، حيز مكان مكشوف، مكان مغلق.

ويؤكد أصحاب هذا القاموس . المنجد في اللغة العربية المعاصرة . وتحت الجذر «مكن»

أن المكان من «كون» وهذا في قولهم: «مكان: جمع أمكنة وجمع الجمع أماكن، موضع

وهو مفعل من "كون"»[2]

من خلال هذه التعريفات اللغوية للفظة "المكان" والذي ثبت حسب الآراء المقدمة بأن

الجذر الحقيقي لها هو«كون» فالمكان لدى اللغويين هو الموضع، والخلق، والمنزلة والحيز والمركز.

ولا يفوتنا أن نعرج على القواميس الغربية لتبيين دلالات ومعاني لفظة المكان، فهم يطلقون أو يصطلحون عليها «Espace» وهذا راجع إلى الترجمة غير الدقيقة للمصطلح

من طرف النقاد العرب، وعلى رأسهم الناقد "غالب هلسا" الذي قام بترجمة كتاب «شعرية الفضاء» لـ "غاستون باشلار" بـ «جماليات المكان».

لقد وردت لفظة « Espace » في القواميس بدلالات ومعاني متقاربة. فقد جاء في قاموس« Le robert » ما يلي:

Espace: مكان واسع ،سطح واسع، مكان جغرافي، مكان ذو ثلاثة أبعاد، مسافة بين

(1) - دار المشرق ، المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، ط 1 ، دار النشر ، بيروت ، لبنان ، 2001 م ، ص 1257

(2) - المصدر نفسه ، ص1357.

شيئين، وقت واسع، فضاء حيوي، مكان خال، مكان أخضر[1].

وفي قاموس آخر:

Espace: مكان واسع غير محدد يحتوي كل الأشياء، كل المساحات المحددة، الفراغ المسافة بين الأرض والقمر، الزمن والفضاء، مكان ذو ثلاثة أبعاد، أو ذو بعدين، مساحة واسعة محددة ومحجوزة، فترة زمنية، مكان دقيق، فضاء حيوي[2].

وعليه فلفظة «Espace» في المعاجم الفرنسية تحمل عدة معان هي: مساحة، فضاء فراغ، مسافة، أبعاد، مدى، مكان جغرافي، مكان محدد، فترة، فالمكان يتضمن الزمان، وهو كذلك إدراك مادي له أبعاد فيزيائية، ورياضية معينة.

ثانيا- المفهوم الفلسفي للمكان:

تناول الفكر الإنساني المكان قديما و حديثا ابتداءً من "أفلاطون" وانتهاءً بفلاسفة العصر حيث أدرك الإنسان أهمية المكان و أثره في حياته.

فقد جاء في كتاب "حسين مجيد العبيدي" الموسوم بـ «نظرية المكان في فلسفة ابن سينا» جملة من التعريفات لأهم فلاسفة الغرب، منهم القدامى، والمحدثين والمعاصرين.

يعرف "أفلاطون" المكان بأنه ما يحوي الأشياء، و يقبلها، و يتشكل منها.

أما الفيلسوف الرياضي "إقليدس" فالمكان عنده هو ثلاثي الأبعاد، الطول، والعرض والعمق

---

(1) – Martyn Back et Silke Zimmermann avec la collaboration de zaurence laporte ,Dictionnaire le robert , Sejer , paris , 2005, p155.

(2) – Christine chere , patricia gautier, Dictionnaire de français, Hachette1992, p499 طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية الجزائر 1993م.

و يوافقه في ذلك "ديكارت" و هو من فلاسفة العصر الحديث، بأن المكان يمتد في الأبعاد الثلاثة.

ولا يختلف العالمان الفيزيائيان "نيوتن" و"كلارك" في تعريفهما للمكان عن "أفلاطون" الذي عده الحاوي للأشياء، فهما يضيفان إلى هذا التعريف خصائص هي: اللاتناهي الأبدية، القدم، وعدم الفناء.

و يستخلص "حسين مجيد العبيدي" من كل ما تقدم، أن مفهوم المكان سواء أكان المقصود منه محلا، أم حاويا، أم ممتدا فهو اصطلاح أنشأه الإنسان لكي يحدد موضعه في المكان. لهذا لم تجد اللغة و الفلسفة مفردة تدل دلالة واحدة و خاصة على حاوي الأشياء غير مفردة المكان نفسها [1].

أما الفلاسفة المسلمون، فنجدهم لا يختلفون كثيرا في تعريفاتهم عن فلاسفة الغرب فـ " إخوان الصفاء" يرون بأن «مكان كل متمكن هو الجسم المحيط به»[2].

ويذهب "ابن سينا" إلى أن:«المكان هو ما يكون الشيء مستقرا عليه، أو معتمدا عليه أو مستندا إليه»[3].

---

(1) _ ينظر: حسين مجيد العبيدي، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، مراجعة، عبد الأمير الأعسم، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م، ص19. نقلا عن باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ط1، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، 1429هـ – 2008م، ص171.

(2) - إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء و خلان الوفاء ، تقديم ، عليوش عبود ، (د ط) ، موفم للنشر، الجزائر 2007م، ج2، ص98.

(3) - حسين مجيد العبيدي، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، ص 105.نقلا عن ، حنان محمد موسى حمودة الزمكانية و بنية الشعر المعاصر أحمد عبد المعطي نموذجا ، ط 1، جدارا للكتاب العالمي ، عمان ، الأردن ، و عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن، 2006 م، ص 19.

إن هذه التعريفات الفلسفية –الغربية و الإسلامية– تعريفات حسية قابلة للملامسة. فمن قائل بأن المكان حاو للأشياء، إلى أنه محيط بالجسم، إلى أن الجسم مستقر عليه، إلى من أدخله في نطاق المفاهيم الرياضية و الفيزيائية إضافة إلى الأبدية و عدم الفناء أي الخلود.

ثالثا– المفهوم الأدبي للمكان:

يحمل مصطلح«المكان» في المفهوم الأدبي دلالات متعددة، فهو لا يحمل معنى المكان الحقيقي الذي سعت الدراسات الفيزيائية إلى تحديد أبعاده، و بحثت الدراسات الفلسفية عن تعريف حسي له فحسب،و إنما هو مكان ينظر إليه من جوانب و أبعاد مختلفة.

1–1 مفهوم المكان عند النقاد الغربيين:

وظفت الدراسات النقدية الحديثة مصطلح «المكان» بمفاهيم مختلفة منها: المكان الفضاء، الحيز، الفراغ، الموقع.

تشير "سيزا قاسم" في هذا الصدد، إلى أن بعض النقاد الغربيين المعاصرين يحاولون التفرقة بين المصطلحات التي تعبر عن المستويات المختلفة للمكان، حيث نجد في الإنجليزية و الفرنسية الصيغ التالية:

الإنجليزية		الفرنسية
Space/place	=	Espace
location	=	Lieu

و المرادفات العربية لهذه الكلمات هي:

المكان / الفراغ

الموقع

وقد اكتفى النقاد الكلاسيكيون في اللغات الثلاث باستخدام لفظة المكان/Space/place

لتدل على جميع أنواع المكان ،لأن معنى الفراغ لم يكن قد تبلور بالمفهوم الحديث بعد. أما النقاد الفرنسيين ، فقد ضاقوا ذرعا بمحدودية كلمة LIEU الموقع فبدأوا باستخدام كلمة (ESPACE) الفضاء، أم النقاد الانجليز فلم يرضوا باستخدام مصطلح المكان

و الفراغ، و أضافوا (LOCATION) بقعة للتعبير عن المكان المحدد لوقوع الحدث[1].

وإذا انتقلنا إلى "غاستون باشلار" (Gaston Bachelard) في كتابة الموسوم «poetique de l'espace» «جماليات المكان» نجده ينطلق من نقطة أساسية هي: أن البيت القديم بيت الطفولة، هو مكان الألفة، و مركز تكييف الخيال، فهذا البيت يوفر الحماية و قد ركز"باشلار" دراسته على أماكن الألفة وهي الأماكن التي ترتبط بحياة الإنسان في مراحل حياته المختلفة، ومستوياته الاجتماعية المتعددة، وانطلاقا من عمليتي التذكر والتخيل لا يبقى المكان مجرد أبعاد هندسية، بل يحمل قيما حسية وجمالية[2].

ثم ينتقل "غاستون باشلار" إلى دراسة مكان ذي قيمة و دلالة محددة، فهو يقول عن دراسته بأنها «تبحث في تحديد القيمة الإنسانية لأنواع المكان الذي يمكننا الإمساك به و الذي يمكن الدفاع عنه ضد القوى المعادية، أي المكان الذي نحب...إن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا»[1].

---

[1] – ينظر : سيزا قاسم ، بناء الرواية دراسة مقارنة في« ثلاثية » نجيب محفوظ ، (د ط) ، هيئة الكتاب ، مصر 2014 م ، ص ص 105، 106.

[2]– ينظر: غاستون باشلار ، جماليات المكان ، ترجمة غالب هيلسا ، ط 2 ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت، لبنان، 1984 م ، ص 9 .

[1] – المرجع السابق، ص،31.

وهدفه في هذا الكتاب هو تبيين أن الإنسان بدون البيت، أو دون المكان كائنا مفتتا لأن البيت يوفر له الحماية[2].

ويرى الناقد السوفياتي "يوري لوتمان" (Youri lotman)، أن بداية الاهتمام بالمكان الفني، راجع إلى ظهور بعض الأفكار، و التصورات التي تربط بين المكان و العمل الفني على أن هذا الأخير هو«مكان تحدد أبعاده تحديدا معينا. هذا المكان (المكان الفني) من صفاته أنه متناه، غير أنه يحاكي موضوعا لا متناهيا، هو العالم الخارجي، الذي يتجاوز حدود العمل الفني»[3]

فالنص الفني سواء أكان لوحة تشكيلية، أم نصا شعريا، فهو نص محدود، ولكن الدلالات التي تعبر عنها كل من اللوحة التشكيلية، و النص الشعري غير محدود.

وفي تعريفه للمكان، و هو تعريف شامل، لا يقتصر على مكان النص و المكان الجغرافي فحسب، وإنما يتعداهما إلى كل الأشياء التي يمكن أن تقوم بينها علاقات مكانية يقول: «المكان هو مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر، أو الحالات، أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة...الخ، تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة / العادية (مثل الاتصال، المسافة...الخ). ويجب أن نضيف إلى هذا التعريف ملحوظة هامة، و هي أننا إذا نظرنا إلى مجموعة من الأشياء المعطاة على أنها مكان يجب أن تجرد هذه الأشياء من جميع خصائصها، ما عدا تلك التي تحددها العلاقات ذات الطابع المكاني التي تدخل

---

[2] –ينظر: المرجع نفسه ص،38.

[3] - جماعة من الباحثين، جماليات المكان، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 1988م، ص 68.

في الحسبان[1].

و يلاحظ "يوري لوتمان" أن نماذج العالم الاجتماعية، و الدينية، والأخلاقية

و السياسية، تنطوي دوما على صفات مكانية، وقد تأخذ هذه الصفات تارة شكل تضاد ثنائي مثل: يسار و يمين، السماء و الأرض[2].

وتختلف حرية الإنسان في التصرف بالمكان من محيط إلى آخر، وانطلاقا من هذا يمكن أن نحدد طبقا لتقسيم "أبرهام.أ.مول" (Abraham, A, Moles) و "إليزابيث رومر" (Elizabeth Rhomer) أربعة أنواع من الأماكن حسب السلطة التي تخضع لها هذه الأماكن:

1- «عندي»: وهو المكان الحميم أو الأليف، الذي يملك المرء فيه كل السلطة
2- «عند الآخرين»: وهو مكان يشبه الأول، ولكنه يخضع لسلطة الغير، ولابد من الاعتراف بهذه السلطة.
3- «الأماكن العامة»: وهي أماكن ليست لأحد معين، و لكنها ملك للسلطة العامة يشعر فيها الفرد بالحرية، ولكنها حرية محدودة.
4- «المكان اللامتناهي»: وهو المكان الخالي الذي نستطيع أن نمثل له بالصحراء حيث لا يكون هذا المكان ملكا لأحد. كما أن سلطة الدولة بعيدة عنه[1].

2-1 مفهوم المكان عند النقاد العرب:

[1] - المرجع السابق، ص،39.

[2] – المرجع نفسه ، ص ن.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص ص 61، 62.

من النقاد العرب الذين أولوا «المكان» عناية خاصة في دراساتهم، نذكر– على سبيل المثال لا الحصر– الناقد "عزالدين إسماعيل" الذي نظر إلى الصورة الشعرية على أنها تمثل المكان النفسي، وليس المكان المحدد لأن «حقيقة المكان النفسية تقول إن الصفات الموضوعية للمكان ليست إلا وسيلة ،أو وسائل قياسية تسهل التعامل بين الناس في حياتهم اليومية»[1].

فالأثر النفسي هو المحدد لأبعاد المكان . عند عزالدين إسماعيل . هذا الأثر ناتج عن التعامل و التفاعل بين الإنسان و مجتمعه .

من النقاد كذلك نجد "حميد لحميداني" في كتابه الموسوم بـ «بنية النص السردي» و الذي وظف فيه مصطلحي المكان و الفضاء ، ففي معرض حديثه عن الفضاء الحكائي يرى بأن الدراسات لم تقدم مفهوما واحدا للفضاء ، فهو عبارة عن مجموعة آراء حصرها فيمايلي:

الفضاء كمعادل للمكان، و الفضاء النصي، و الفضاء الدلالي، والفضاء كمنظور

أو كرؤية، فالعنصر الأول نجده يحصره في تصور خاص بالمكان يقول: «يفهم الفضاء في هذا التصور على أنه الحيز المكاني ... ويطلق عليه الفضاء الجغرافي»[2].

كما يشير إلى صعوبة التمييز بين المكان، و الفضاء بشكل دقيق، مع أنه يرى أن هذا التمييز ضروري، فالفضاء عنده ليس هو المكان، فهو لا يتحدث عن مكان واحد ، بل عن عدة أمكنة، و التي بدورها تشكل الفضاء، فالمكان عند"حميد لحميداني" من مكونات الفضاء وإذن فالفضاء أوسع من المكان، مع العلم أن دراسته خاصة بالمكان في الرواية ويخلص في

---

[1] - عزالدين اسماعيل، التفسير النفسي للأدب، ط4، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، (د ت)، ص 59 .

[2] – حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط 3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب، 2000 م، ص ص 53– 72.

الأخير إلى أن المكان جزء من مجموع بقية المكونات، و لكنه يظل المكون الأساسي للفضاء الروائي «لأن الرواية قابلة لأن تجعل كل الأمكنة مادة لبناء فضائها الخاص»[1].

غير بعيد عن رأي "حميد لحميداني" في محاولة التمييز بين المكان و الفضاء

و صعوبة ذلك، يشير"حسن نجمي" إلى التداخل بين مصطلحين متداولين «المكان

و الفضاء» ويرى ضرورة تمييز الحدود بينهما، غير أنه ينتهي إلى عدم ضرورة ذلك

و عليه فالمكان عنده يعتبر أساسا للفضاء، و الفضاء أوسع من المكان في قوله: «ذلك لأن مفهوم الفضاء أكثر انفلاتا و شساعة من مثل هذه التحديدات الضيقة، و إلا ماذا نقول بالنسبة لفضاء الحلم الموت، الذاكرة، الهوية»[2].

و قد ذهب "حسن بحراوي" إلى دراسة المكان باعتباره عنصرا حكائيا، و يرى كذلك أن الفضاء أصبح عنصرا حكائيا أساسيا، و قد استعمل المصطلحين«المكان و الفضاء» لكنه لم يورد تعريفا محددا لهما، فنجده يطلق الفضاء على المكان مرة، و تارة أخرى يطلق المكان على الفضاء، و يعتبر«تشكل الفضاء الروائي من الكلمات أساسا يجعله يتضمن كل المشاعر و التصورات المكانية التي تستطيع اللغة التعبير عنها»[3]

فالفضاء الروائي يتميز عن باقي الفضاءات نتيجة طابعه اللفظي، فهو فضاء لا يوجد

إلا من خلال الكلمات، كما الحال بالنسبة لفضاء القصيدة، فهو الآخر يتكون من كلمات

بهذا تمنح اللغة المكان الأدبي مدلولا يتشكل بوساطة الألفاظ و الصور، فالشاعر يعمل

---

[1] – المرجع السابق، ص 72.

[2] – حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل و الهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان (د ت) ص ص 42– 44 .

[3] – حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء–الزمن– الشخصية، ط 2، المركز العربي، الدار البيضاء، المغرب 2009م، ص27 .

دوما على الخروج بالكلمات من قاموسها، فيدخلها في سياق يصنعه هو و بذلك يخلق فضاءً خاصا بالقصيدة.

والملاحظة الجديرة بالذكر، ومن خلال هذه التعريفات، هي إمكانية توافق هذه المفاهيم التي طبقت في مجال النقد الروائي على القصيدة ، وكذا لتوضيح التداخل بين مفهوم الفضاء و المكان، مع العلم أن المكان في النص الشعري ليس هو المكان في النص الروائي المحدد بالأبعاد و الأحجام، و إنما المقصود هو المكان الذي ينشأ من معايشة سابقة فهو مرتبط بالذاكرة، أو أن يعيش الشاعر حاضرا في هذا المكان من خلال الأحداث التي حدثت، أو أن يتمنى مكانا يتحقق في المستقبل.

فالمكان الشعري من خلال هذه التعريفات هو المكان الملموس، و هو المكان المتخيل وهو ذلك الحيز الذي يصف الموجودات في الطبيعة ، وهو المكان الذي يتشكل عن طريق اللغة وهو الناتج عن الواقع النفسي و الاجتماعي. فالمكان المجرد لا قيمة له إلا من خلال تجربة الشاعر، و بفضل أحاسيسه المرهفة، وعلائقه الوجدانية لا يبقى هذا المكان حيزا منطويا في الذاكرة، ولكنه يخرج عن حقيقته و بفضل الخيال لخلق مكان خاص وهو المكان الشعري.

رابعا ـ المكان في العصر الجاهلي و عصر صدر الإسلام:

عرف الإنسان العربي بحبه الشديد للأرض و ارتباطه بها، و حنينه الكبير إلى كل مكان تركه . و لقد لعب هذا الأخير و لا يزال دورا لا يستهان به لكونه «حقيقة معاشة، و يؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه»[1].

وقد تجلى أثره بشكل واضح ومميز عند الأدباء بإعتبارهم يمتلكون المقدرة على تحويل جزء من خصوصية المكان الواقعية، و إضافة بعض الخصائص الفنية المستوحاة من خيال الأديب، و التجربة الذاتية المعيشة، فلم يكن المكان مجالا هندسيا يخضع لقياسات و أبعاد كما هو الشأن بالنسبة للأمكنة الجغرافية، و لكنه تشكل في التجربة الإبداعية من خلال ما عاشه الأديب سواء أكان ذلك على مستوى اللحظة التي عاشها، أو على مستوى التخيل وتكون للمكان أهمية أكبر و دلالة أعمق عندما تتوفر للأديب الأدوات الفنية والجمالية حيث يصبح المكان جزءً من وجدان الشاعر و ذلك «لأن المكان الطوبوغرافي يزول بمجرد تخطي الإنسان حدوده، في حين يحتفظ المكان في التجربة الإبداعية بلحمته

ويضمن التواصل مع المبدع لتنقل العدوى بعد ذلك إلى الآخرين، من خلال عملية التأثير والتأثر»[2].

وفي شعرنا العربي القديم، نجد الصلة وطيدة بين الإنسان و المكان، و قد برز ذلك من خلال ذكر الأمكنة بكثرة عند الشعراء الجاهليين، المتمثلة في ظاهرة الوقوف على الأطلال.

فكانت الصلة قوية بين المكان و الشاعر، لأن المكان يُسْهِمُ في خلق المعنى و التعبير عن ذات الأديب، و ما يحدث في داخلها من تساؤلات تعبر عن الحيرة تارة، وعن الحنين تارة أخرى، و قد صدق الشاعر حين قال معبرا عن شوقه، وعن حنينه للحبيب الأول، والمنزل الأول:

---

(1) – جماعة من الباحثين، جماليات المكان، ص63 .

(2) – باديس فوغالي، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، ص 182 .

نَقِّلْ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الهَوَى مَا الحُبُّ إلاَّ للحَبِيبِ الأَوَّلِ

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الأَرْضِ يَأْلَفُهُ الفَتَــى وَ حَنِينُهُ أَبَداً لأَوَّلِ مَنْــزِلِ

فالحب و المنزل لدى الشاعر سيان، فكما وجد دفء العاطفة في الحبيب الأول، وجدها أيضا في المنزل الأول، من هنا تظهر أهمية المكان كونه ترجمة لأحاسيس الشعراء.

و جاءت أهمية المكان في الشعر الجاهلي من خلال ظاهرة الوقوف على الطلل و التي أصبحت مستهلا للقصائد تبتدئ به، و باعثا من بواعثها، و بنية من أبنيتها التي عُدَّت أساسا لتركيبها للعصور التي جاءت بعهدها، فأصبحت القصائد تقاس على نمط أو بنية القصيدة الجاهلية، و إلا فقدت هذه القصائد قيمتها و جماليتها[1].

ولهذا فالمكان في الشعر الجاهلي يؤدي إلى إثارة عواطف الشاعر، فهو يصور لنا حاله التي انقلبت، و تذكره مغامرات صباه، و عودته إلى الماضي و حنينه إليه، و معاناته من عدم الاستقرار الذي يعيشه، فنجد الشاعر يصور لنا هذا المكان بصور مختلفة، تارة يبكي الذكريات والأيام الماضية و أخرى يصف تلك الأماكن الدارسة، وكلُّها تبين عن نفسية الشاعر و ما يحدث فيها أو بالأحرى داخلها.

فهذا "امرؤالقيس" استوقفته الديار حين مرَّ بها فحنَّ إليها فبكى وقال:[2]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَ مَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَتُوضِحَ فَالْمِقْرَاةُ لَمْ يَعْفُ رَسْمُـهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنِ جَنُوبٍ و شَمْـأَلِ

يشكل وقوف "امرؤ القيس" على هذه الأماكن عودة إلى الماضي، وإلى أيام الصبا الأمر الذي كان باعثا من بواعث تذكر تلك الأيام، و ذلك الملك الضائع، فهو يتذكر الماضي

---

(1) – ينظر: محمد عبيد صالح السبهاني، المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، ط 1، دار الآفاق العربية، مدينة نصر، القاهرة، 1428هـ –2007م، ص20 .

(2) – امرؤ القيس، الديوان، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1428هـ – 2007م، ص ص29،30 .

سِقْطِ اللِّوى : منقطع الرمل. والدخول وحومل : قيل إنهما موضعان في شرق اليمامة .

توضح فالمقراة : موضعان قريبان من الدخول وحومل .

لم يعف رسمها : لم يدرس ولم يتغير مع ما نسجته الرياح عليهما من التراب جيئة وذهوبا لم تمح محوا تاما .

الجميل الذي عاشه غي دياره، و بين أهله، بالإضافة إلى مغامراته مع حبيبته، فالمكان هنا المنفذ الوحيد للشاعر للهرب نحو ما هو جميل، و المثير الذي يولد الإحساس الصادق والدقة في التعبير.

و في موقف آخر، نجد الشاعر"زهيربن أبي سلمى" يضمِّن المكان معنى الألفة، فهو يستأنس بالديار و يجعلها أنيسه الوحيد بعد غياب الحبيب، فالقِدَم لم ينل من هذه الديار برحيل أهلها، و بهذا فهي قادرة على مؤانسته يقول:[1]

قِفْ بِالدِّيَارِ الَّتِي لَـــمْ يَعْفُهَا القِدَمُ بَلَى وَغَيَّرَهَا الأَرْوَاحُ وَ الأَيَـــمُ

لاَ الدَّارُ غَيَّرَهَا بَعْدِي الأَنِيسُ وَلاَ بِالدَّارِ لَوْ كَلَّمْتَ ذَا حَـاجَةٍ صَمَمُ

دَارٌ لأَسْمَاءَ بِالغُمْرَيْنِ مَـــــاثِلَةً كَالوَحْيِ لَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِـهَا إِرَمُ

كما نجد "عنترة بن شداد العبسي" يعبر عن غربة قاسية ألمت به، وأثارت فيه لواعج الشوق والحنين إلى ديار الأهل و الأحبة، فشكل المكان باعثا من بواعث الغزل و الحنين فالشاعر يعلم استحالة الوصول إلى هذه الديار حيث يقول:[2]

حُيِّيتُ مِـــــنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وأَقْفرَ بَعْدَ أُمِّ الهَيْثَـمِ

حَلَّتْ بَأَرْضِ الزَّائِرِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِرًا عَلَيَّ طِلاَبُكِ ابْنَةَ مَخْـرَمِ

وَ لَقَدْ نَزَلْتِ فَـــــلاَ تَظُنِّي غَيْرَهُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ المُحَبِّ المُكْـــــرَمِ

كَيْفَ المَزَارُ وَ قَدْ تَرَبَّعَ أَهْلُـــهَا بِعُنَيْزَتَيْنِ وَأَهْلُنَـا بِالغَيْلَـــــــمِ

(1) – زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرحه وقدم له، علي فاغور، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ 2003م، ص 113 .

لم يعفها القدم : لم يدرسها ويمح أثرها تقادم عهدها. الديم جمع ديمة :المطر يدوم مع سكون يوم أو يومين الأرواح: الرياح. كلمت: تكلمت فلم تجب، ولم تكلمني ولا ردت جوابي.

الغمرين: مثنى الغمر: إسم موضع في بلاد بني أسد. الماثلة : المنتصبة الظاهرة للعيان. الوحي: الكتاب. أرم : أحد .

(2) – عنترة بن شداد، الديوان، (د ط)، دار صادر، بيروت، لبنان، (د ت)، ص16 . الإقواء والإقفار : الخلاء جمع بينهما لضرب من التأكيد. أم الهيثم : كنية عبلة. الزائرون : الأعداء جعلهم يزأرون زئير الأسد. عسر علي طلابك : نزلت الحبيبة بأرض أعدائي فعسر علي طلابها . بمنزلة المحب المكرم : قد نزلت من قلبي منزلة من يحب ويكرم فأعلمي قطعا ولا تظني غيره . المزار : الزيارة. التربع : الإقامة زمن الربيع .

و جسد المكان عند "لبيد بن ربيعة العامري" الحياة القاسية، والظروف الطبيعية الصعبة التي جعلت حياته مليئة بالمخاطر، فعبر عن هذه التجربة المعيشة بشعره قائلا:[1]

وَأَقْطَعُ الخَرْقَ قَدْ بَادَتْ مَعَالِمُهُ فَمَا يُحسُّ بِهِ عَيْنٌ وَلاَ أَثَـــر

فهو يسير في مكان مجهول المعالم، مشتتا ضائعا، يبحث عن نفسه في هذا البلد الواسع دون جدوى، فالذات هائمة لا تدري و لا تعرف إلى أين؟ وكيف، ولماذا؟.

و في بيت آخر نجده يربط بين انهيار الديار، و انهيار الحياة، فهو يرى أن انهيار الديار و اندثارها، و رحيل أهلها عنها، يشبه وبشكل كبير نهاية الحياة

ورحيل الناس عن الدنيا يقول:[2]

مَا النَّاسُ إِلاَّ كَالدِيَّارِ وَ أَهْلِهَا بِهَا يَوْمُ حُلُولِهَا وَغَـدْوًا بَلاقِـــعُ

و يعكس المكان عند "النابغة الذبياني" الحزن و الألم الذين يحس بهما عند رؤيته لديار الحبيبة بعد أن أقوت، وأصبحت خالية من ساكنيها، فأحس بالوحشة و الحزن، فراح يسائلها عن أهلها، وقد صورها لنا إنسانا يتكلم، فلم تجبه، فهي خالية من أهلها إذ يقول:[3]

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالعَلْيَاءِ فَالسَنَـــــدِ أَقْوَتْ وَ طَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الأَبَـــدِ

وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلاَ كَيْ أُسَائِلَهَا عَيَّتْ جَوَابًا وَ مَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَـــدِ

وقد عبَّر المكان عند "حسان بن ثابت" عن خيبة أمل كبيرة أمام غربة المكان حيث

---

(1) – لبيد بن ربيعة، الديوان، ط2، دار صادر، بيروت، لبنان، 1429هـ – 2008م، ص58 .
الخرق : البعيد من الأرض أو البلد الواسع تتخرق فيه الريح. بادت : ذهبت.
عين : ما يحس به عين إنسان ناظرة ولا أثر قدم في الأرض. معالمه : طرقه.

(2) - المصدر السابق، ص 88 .

(3) – النابغة الذبياني، الديوان، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د ت)،ص 14
العلياء : ما ارتفع من الأرض. والسند : سند الجبل وهو ارتفاعه حيث يسند. أقوت : خلت من الناس وأقفرت.
السالف : الماضي. الأبد : الدهر. أصيلانا وأصيلان : تصغير أصيل وهو العشي. الربع : منزل القوم .

يقول:[1]

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ الجَدِيدَ التَكَلُّمَـــا بِمَدْفَعِ أَشْـدَاخٍ فَبُرْقَةِ أَظْلَمَـــــــــا

أَبَى رَسْمُ دَارِ الحَيِّ أَنْ يَتَكَلَّمَـا وَهَلْ يَنْطِقُ بِالمَعْرُوفِ مَنْ كَانَ أَبْكَـمَا

بِقَاعٍ نَقِيعِ الجِزْعِ مِنْ بَطْنِ يَلْبَنٍ تَحَمَّلَ مِنْـهُ أَهْلُـــــهُ فَتَتَهَّمَـــــــا

تزخر هذه الأبيات بأسماء الأماكن: «أشداخ»، «برقة»، «أظلما»، « نقيع الجزع » «بطن يلبن». ولكنها أماكن خالية من سكانها، مفرغة من الحياة، يتساءل "حسان بن ثابت" لكن المكان الجديد لا يجيب، فصمت رسم دار الحي مهيمن، فهو يأبى التكلم، هذا ما بينه "حسان بن ثابت" في الشطر الثاني من أنه أبكم، أي لم تعد هناك إمكانية للتواصل.

ونجد للمكان عند الشعراء الصعاليك بعدا آخر، فالمكان أي الصحراء بالنسبة لهم دار إقامة، فهذا المكان – الصحراء- قد خلق منهم رجالا أقوياء يمتازون بالشجاعة والصبر لأن حياة الصحراء «تربي في نفوس أبنائنا صفات الشجاعة و الجرأة و الكبرياء العنيدة كبرياء الرجال الأحرار»[2].

وقد أبدى "تأبط شرا" تأقلمه و ألفته للمكان - الصحراء – بما فيه من وحوش يقول:[3]

يَبِيتُ بِمَغْنَى الوَحْشِ حَتَّى أَلِفْنَهُ وَيُصْبِحُ لاَ يَحْمِى لَهَا الدَّهْرَ مَرْتَعَا

رَأَيْنَ فَتَى لاَ صَيْدَ وَحْشٍ يَهُمُّهُ فَلَوْ صَافَحَتْ إِنْسًا لَصَافَحْنَهُ مَعَـــا

أما "الشنفرى" فهو الآخر يعترف بأنه يميل إلى أهل غير أهله، و يخبرهم بهذا القرار

---

(1) – حسان بن ثابت، الديوان، شرحه وكتب هوامشه وقدم له، عبدأ . مهنا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1423هـ – 2002م، ص ص216،217 .

أشداخ : إسم واد. وأظلم: هو الجبل الأسود من ذات حبيس. نقيع الجزع : اسم موضع. ويلبن : جبل قرب المدينة وتحمل منه أهله: تركوه. وتتهم: صار إلى أرض تهامة .

(2)– يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ط2، دار المعارف كورنيش النيل، القاهرة، مصر (د ت)، ص75 .

(3) – تأبط شرا، الديوان، إعداد وتقديم، طلال حرب، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1996م، ص39 .

المغنى : هو الوحش. ألفنه : إعتدنا عليه. رأينا : رأت الوحوش. فلو صافحت : لو أن الوحوش تصافح .

فقد استبدلهم بوحوش الصحراء، وجعلها أهله بدلا منهم حين قال:[1]

أَقِيمُـوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِـوَاكُمْ لأَمْيَـلُ

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سَيِّـــدُ عَمَلَّسُ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَـاءُ جَيْـأَلُ

هُمُ الأَهْلُ لاَ مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَانِي بِمَـــا جَرَّ يُخْذَلُ

وعليه فالشعر الجاهلي تناول المكان بشكل كبير، تمثل ذلك في الوقوف على الطلل فكان هذا الأخير باعثا من بواعث الشعر، وقد جسد دلالات نفسية لدى الشاعر منها: الغربة والحنين، والألفة، والعدائية، فقد كان الشاعر يصور ما يقع عليه بصره تصويرا ماديا أو نفسيا.

أما في عصر صدر الإسلام، فقد كان ظهوره حدثا كبيرا في حياة العرب، فمن الطبيعي أن يؤثر هذا الحدث في الشعر باعتباره ديوان العرب في تلك الفترة، ومن جوانب هذا التأثير تغيير نظرة الشاعر العربي للمكان، على الرغم من أن هذا الشاعر لم يكف عن ذكر الأطلال، إلا أنه لم يعد يعطيها القيمة ذاتها التي كان يوليها إياها في الجاهلية. فقد انصرف عنها إلى ذكر الأماكن المقدسة بعيدا عن أماكن اللهو والغزل «فأصبحت رؤيته مشحونة بتيار إسلامي و أخذ الشاعر يلهج في ذكر الأماكن المقدسة بعيدا عن أماكن اللهو والغزل والمجون»[2].

وقد وجدنا صدى هذا الحدث بارزا في شعر "حسان بن ثابت" بدرجة كبيرة حين رثى "الرسول"(صلى الله عليه وسلم) في قصيدته التي مطلعها:[3]

---

(1)– الشنفرى ، الديوان، إعداد وتقديم، طلال حرب، ط1، دار صادر،بيروت، لبنان، 1996م، ص55 .

بنو الأم: الأشقياء أو غيرهم ما دامت تجمعهم الأم. المطي : ما يمتطى من الحيوان. دونكم : غيركم.

الأهلون: جمع أهل. السيد: الذئب. عملس: القوي السريع. الأرقط : الذي فيه سواد وبياض.

زهلول: خفيف. عرفاء: الضبع الطويلة العرف. جيأل : من أسماء الضبع. يخذل : يتخلى عن نصرته .

(2) – محمد عبيد صالح السبهاني، المكان في الشعر الأندلسي، ص24 .

(3) – حسان بن ثابت، الديوان، ص60 .

بِطَيْبَةَ رَسْمٌ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَـــــدُ مُنِيرٌ وَقَدْ تَعْفُو الرُسُومُ وَتَهْمَـــــدُ

وَلاَ تَنْمَحِي الآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ بِهَا مِنْبَرُ الهَادِي الَّذي كَانَ يَصْعَـدُ

وَوَاضِحُ آيَاتٍ وبَاقِي مَعَالِـــــمٍ وَرَبْعٍ لَهُ فيهِ مُصَلَّى وَمَسْجِـــــدُ

بِهَا حُجُرَاتٌ كانَ يَنْزِلُ وَسْطَـــهَا مِنَ اللهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَـــــدُ

مَعَالِمُ لَمْ تُطْمَسْ على العَهْدِ أَيـُـهَا أَتَـــاها البِلَى فَالآيُ مِنْهَا تَجَـــدَّدُ

عَرَفْتُ بها رَسْمَ الرَّسُولِ وعَهْـدَهُ وقَبْرًا بِهِ واراهُ في التُرْبِ مِلْحِـــــدث

يبدأ "حسان بن ثابت" قصيدته بالوقوف على هذه الأمكنة المقدسة، فهي ليست أطلال الجاهلية، وديار الحبيبة، بل هي ديار "الرسول" (صلى الله عليه وسلم) فيذكر طيبة المدينة الطاهرة التي ترك فيها "النبي"(صلى الله عليه وسلم) منزله ومسجده، فهو يبكي هذه الآثار ولكن ليس بكاء الجاهلية. فهذه الأماكن ليست أماكن الحبيبة، أو آثار الأهل الراحلين عنها بل هي أماكن وآثار واضحة المعالم لا تزول، ولم يستطع الزمن محوها على عكس الديار العادية. هذه الديار شعلة النبوة وآثار المسجد التي تتوهج كلما مر عليها الزمان، و تلا فيها المسلمون آيات الذكر الحكيم، إنها أماكن "الرسول"(صلى الله عليه وسلم) تضيء نورا في القلوب وفي الأذهان، فآثارها باقية ومتجددة تذكر بتلك المعالم.

ويأتي المكان في شعر"الحطيئة" ليعبر عن معاناة قاسية عاشها في السجن أيام الخليفة "عمر بن الخطاب" (رضي الله عنه)، بعد أن هجا "الزبرقان بن بدر"، فترك ذلك المكان أثرا سيئا في نفسه حين قال:[1]

مَاذَا تَقُولُ لأَفْرَاخٍ بِذِي مَـــرَخٍ زَغْبِ الحَوَا صِل لاَ مَاءٌ وَلاَ شَجَرٌ

غَيَّبْتَ كَاسِبَهُمْ في قَعْرٍ مُظْلِمَةٍ فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَـــــلاَمُ اللهِ يَا عُمَرُ

طيبة : هي يثرب، وقد سماها الرسول (ص) طيبة عندما نزل بها. المعهد : المنزل.

تعفو : تمحو. وتهمد : تندثر. الآيات : العلامات .

(1)- الحطيئة، الديوان، رواية وشرح، ابن السكيت، دراسة وتبويب، مفيد محمد قميحة، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص11 .

نلاحظ الوصف المأساوي للسجن والذي انعكست آثاره على نفسيته، فحاول إظهار هذه المأساة من خلال وصفه، ليجد مخرجا لهذا المأزق.

و خلاصة القول: إن المكان كان حاضرا في الشعر الجاهلي و الإسلامي، وقد شكل حضوره الدائم ميزة خاصة للشعر العربي، بل كان باعثا من بواعث قول الشعر كما أسلفنا الذكر.

الفصـل الأول

المكان و الغرض الشعري

تمهيد

أولا– المكان و الغزل

ثانيا– المكان و الوصف

ثالثا– المكان و المديح

رابعا– المكان و الفخر

خامسا– المكان و الرثاء

سادسا– المكان و الهجاء

تمهيد:

يعتبر المكان من العناصر المهمة التي أثرت في الإنسان منذ القديم ولا يزال، و ذلك لصلته الوثيقة بالحياة الإنسانية في مختلف أبعاده و مستوياته.

يعد ارتباط المكان بالإنسان و الزمان ضرورة لا مناص منها، فالمكان يثير في الإنسان إحساسا بالماضي والحاضر فـ «المكان هو القرين الضروري للزمان و الفرد في المنطق، الفرد حالة محددة تعرَّف بالإشارة إلى نظيرين: المكان والزمان».[1]

و قد جاء ذكر الشعراء للمكان نتيجة ارتباطه بهمومهم، وإثارة أشواقهم، والحنين إلى تلك الأماكن التي هجروها «فقد كانت البيئة القديمة ملهمة للشاعر لدرجة انصهاره بها وعلوق تضاريسها بذاكرته، يُحَمّلها رموزًا مكانية أينما حل وارتحل، وكلما تعمق إحساسه بالديار التي كانت مسرحا لشبابه، ومرتعًا لفتوته، اتضحت هويتها في حياته».[2]

ولهذا أصبح المكان وسيلة للتعبير عن هذه الهموم، والأشواق والحنين، وغيرها من المشاعر الإنسانية، فاقترن بالغرض الشعري وبخاصة عند القدامى. فكان– المكان– يؤدي دورا هاما، وحضورًا دائما في الغرض الشعري سواء أكان غزلا، أم مديحا، أم فخرا، أم وصفا، أم هجاءً، أم رثاءً.....[3]

أولا– المكان والغزل :

الغزل غرض شعري، وهو «التعلق الشديد بامرأة والهيام بها»[4]

وهو مبني على الصلة العاطفية الموجودة بين الرجل والمرأة.

(1) - إيان واط ، نشوء الرواية ، ترجمة ، ثائر ديب ، ط 2 ، دار الفرقد ، دمشق، سوريا ، 2008 م ، ص 29 .
(2)- باديس فوغالي ، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي ، ص 198 .
(3) - ينظر : محمد عبيد صالح السبهاني ، المكان في الشعر الأندلسي ، ص 37 .
(4) - زبير دراقي : المفيد الغالي في الأدب الجاهلي ، (د ط) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر (د ت) ، ص 52.

وما يكتنفها من وصل أو هجر. فهو يصور أشواق المحبين ولواعجهم، ويعتبر من أصدق أنواع الشعر عاطفة.[1]

وقد ارتبط المكان بالغزل، فلا تُذكر الديار خالية، أو دارسة، أو مأهولة إلا وتذكر الحبيبة، وكأنهما متصلان ببعضهما، فهي علاقة تذكر لهما. وقد برزت قيمته في الشعر القديم باعتباره المدخل الرئيس والمتصدر للقصيدة، فابتداء القصائد بالنسيب خاصة كان سنة متبعة لا يحيد عنها الشعراء للمرور إلى الموضوعات الأخرى، وهذا ما ذهب إليه "ابن قتيبة" بقوله: «وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها... ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء». [2]

ويذهب إلى المعنى نفسه "أبو هلال العسكري" بقوله: «كانت العرب في أكثر شعرها تبتدئ بذكر الديار والبكاء عليهما والوجد بفراق ساكنيها» . [3]

فذكر هذه الأماكن كان نابعا من صميم الشعراء، فهي أماكن الأهل والأحبة.

وقد كان "لحسان بن ثابت" تجربته التي عانى فيها بُعد ديار المحبوبة وبكاءَهُ نأي الأحبة، ووقوفه على أطلالهم، هذه التجربة المعيشة جسَّدها لنا في تجربته الشعرية، من

(1)– ينظر : المرجع السابق ، ص 53.
(2) - ابن قتيبة ، الشعر و الشعراء ، تحقيق و شرح ، أحمد محمد شاكر ، (د ط) ، دار المعرف ، (د ت) ، ج 1 ص ص 74، 75 .
(3)– أبو هلال العسكري ، الصناعتين- الكتابة و الشعر - ، تحقيق ، علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم (د ط) ، المكتبة العصرية، بيروت ، لبنان ، (د ت) ، ص 452.

خلال بكائه على الأطلال وما يعانيه من لوعة الفراق قائلا: [1]

عَفَتْ ذَاتُ الأصَابِعُ فَالجِوَاءُ إلَى عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَـلاَءُ

دِيَارٌ مِنْ بَنِي الحَسْحَاسِ قَفْرٌ تَعْفِيهَا الرَّوَامِسُ والسَّمَـاءُ

وَكَانَتْ لاَ يَزَالُ بها أَنِيسٌ خِلاَلَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَـاءُ

فَدَعْ هذا ولَكِنْ مَن لِطَيْفٍ يُؤَرِّقُنِي إذا ذَهَبَ العِشَـاءُ

لِشَعْثَاءَ التي قَدْ تَيَّمَتْهُ فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَـاءُ

يبدأ "حسان بن ثابت" برسم مواقع المحبوبة، وما آلت إليه من بِلى واندثار، فأصبحت أطلالا خالية، ودمنا مهجورة، وآلت إلى أماكن للوحشة والحسرة و الألم، بعد أن كانت مواضع للبهجة والمرح والأنس. لكنه ما يلبث أن ينهي نفسه عن التذكر، لينتقل إلى الحديث عن طيف شعثاء الذي يؤرقه وقت النوم، شعثاء التي ملكت، فؤاده وتيمت قلبه فلا يرجو لقلبه شفاء من حبها، فقد قرن الشاعر ذكرى الديار بتذكر الحبيبة.

ومن هذه المعاني قوله : [2]

عَرَفْتُ دِيَارَ زَيْنَبَ بِالكَثِيبِ كَخَطِّ الوَحْيِ فِي الوَرَقِ القَشِيبِ

تَعَاوَرَهَا الرِّيَاحُ وَكُلُّ جَوْنٍ مِنَ الوَسْمِي مُنْهَمِرٍ سَكُوبِ

فَأَمْسَى رَسْمُهَا خَلَقًا وَأَمْسَتْ يَبَابًا بَعْدَ سَاكِنِهَا الحَبِيبِ

(1)- حسان بن ثابت ، الديوان ، ص ص 17 ، 18 . عفت الآثار أو المنازل : إمحت و درست و بليت . ذات الأصابع : موضع بالشام . الجواء: موضع بالشام . عذراء: قرية بغوطة دمشق من إقليم جولان . بنو الحسحاس : قوم من العرب . الروامس : الرياح، و الرمس : ما تحمله الريح فترمس به الآثار أي تعفيها . السماء: بمعنى المطر. النعم : ذكر لا يؤنث و يجمع على نعمان و هي الإبل و البقر و الغنم .

الطيف : الخيال ، و أرق: ذهب عنه النوم في الليل. العشاء : كناية عن أواني النوم. شعثاء: اسم إمرأة، قيل : هي بنت سلام بن مشكم اليهودي، و قيل : هي إمرأة من غزاعة .

(2)– المصدر نفسه ، ، ص 64. الكثيب من الرمل: تلال الرمل. الوحي : الكتاب و القشيب : الجديد . تعاورها: تتداولها و تمر من جميع الجهات . الجون : السحاب الأسود. الوسمي: مطر الربيع .، السكوب: الدائم الانسكاب. الرسم الخلق : البالي . اليباب : الخراب.

عرف "حسان بن ثابت" ديار محبوبته "زينب" التي غدت آثارها كالسطور في الورق بعد أن اعترتها عوامل الطبيعة القاسية، وتقادم الزمن عليها فأضحت خرابا بعد ما كانت تسكنها "زينب".

وقد بكى "حسان بن ثابت" عندما تذكر "شعثاء"، وديارها، وما يثيره هذا التذكر من دموع وشجون، متخذا من المكان منفذا عاطفيا يلج من خلاله إلى وصف جمال "شعثاء". حيث يقول:[1]

أَلَمْ تَذَرِ العَيْنُ تَسْهَادَهـا وجَرْيَ الدُّمُوعِ وَإِنْفَادَهَا

تَذَكُّرُ شَعْثَـاءَ بَعْدَ الكَرَى ومُلْقَى عِرَاصٍ وأَوْتَادَهَا

إِذَا لَجِبٌ مِنْ سَحَابِ الرَّبِيـ ـعِ مَرَّ بِسَاحَتِهَا جَادَهَا

وقَامَتْ تُرَائِيكَ مُغْدَوْدِنًـا إِذَا مَا تَنُوءُ بِهِ آدَهَـا

ووَجْهًا كَوَجْهِ الغَزَالِ الرَّبِيـ ـبِ يَقْرُو تِلاَعًا وَأَسْنَادَهَا

وفي موقف آخر نجد "حسان بن ثابت" يبكي على بعد "لميس"، ويذرف الدموع الغزار التي تتسع للدلاء لدى رحيلها إلى مكان بمكة، في أرض خصبة تتوفر على أسباب العيش فأدَّى هذا الرحيل إلى قطع حبل الوصال بينهما. فحياة القبيلة مقتصرة على التنقل من مكان إلى آخر، وما كان "لحسان بن ثابت" سوى أن يتبع بعينه الدامعتين وقلبه الحزين ظعائن الحبيبة وهي تبتعد إذ يقول: [2]

(1) - المصدر السابق، ص 86 . ألم تذر العين: ألم تترك . التسهاد: الأرق.
- تذكر : حذف إحدى التائين. و شعثاء : حبيبته و زوجته . و الكرى النعاس .السحاب اللجب: الذي يحدث جلبة. بساحتها: أراد بساحة محبوبته أو زوجته . يقال: شعر غدودن و مغدودن : أي كثر ملتف طويل . آدها :أتعبها . الغزال الربيب : المربى . يقروا : يقصد . التلاع : جمع تلعة كل ما علا من الأرض و ما سفل منها .
(2) - المصدر نفسه ، ص 155.

بَانَتْ لَمِيسُ بِحَبْلٍ مِنْكَ أَقْطَـاعُ وَاحْتَلَّتِ الغَمْرَ نَزْعًا ذَاتَ أَشْرَاعِ

وأَصْبَحَتْ في بَنِي نَصْرٍ مُجَاوِرَةً تَرْعَ الأَبَاطِحَ في عِزٍ وإمْرَاعِ

كَأَنَّ عَيْنِي إذَا وَلَّتْ حُمُولُـهُمُ في الفَجْرِ فَيْضُ غُرُوبٍ ذَاتِ أَتْرَاعِ

يعبر الشاعر من خلال هذه التجربة عن ارتباطه بالحبيبة، وبالديار التي عاشت فيها.

وإلى المعنى ذاته يذهب "حسان بن ثابت" في قصيدة أخرى حيث يقول:[1]

مَا بَالُ عَيْنِي دُمُوعُهَا تَكِفُ مِنَ ذِكْرِ خُودٍ شَطَتْ بِهَا قَذَفُ

بَانَتْ بها غَرْبَةٌ تَؤُمُّ بِهَا أَرْضًا سِوَانَا والشَّكْلُ مُخْتَلِفُ

مَا كُنْتُ أَدْرِي بِوَشْكِ بَيْنِهِمُ حَتَّى رَأَيْتُ الحُدُوجَ قَدْ عَزَفُوا

فَغَادَرُونِي والنَّفْسُ غَالِبُهَا مَا شَفَّهَا والهُمُـومُ تَعْتَكِفُ

يبكي "حسان بن ثابت" ويدرف دموعه عند ذكر حبيبته التي نأت وبعدت إلى أرض غير التي كانت تسكنها، فهو لم يكن يدري برحيلها حتى رأى الإبل وهي تغادر، وبذلك تقطعت الأسباب بينه وبين المحبوبة، فقوة هذه العلاقة بين الشاعر من جهة والمكان والمرأة من جهة أخرى، متأتية من إقامة الحبيبة وما ترتب عليه أثناء هذه الإقامة من ذكريات أصبحت بعد رحيلها آلاما وهموما ملازمة له.

ونجد أن المكان قد جسد مظاهر الفرقة فتذمر الشاعر وأخذ يصرف العنان عنه في قوله: [2]

أَشَاقَكَ مِنْ أُمِّ الوَلِيـدِ رُبُوعِ بَـلاَقِعُ مَا مِنَ أَهْلِهِنَّ جَمِيـعُ

لميس إسم إمرأة . الغمر: بئر قديم بمكة ، حفرتها بنو سهم . و هناك مواضع كثيرة بهذا الإسم . و غمر نزع : قريب القعر ذات أشراع : يشرعها الناس ليشربوا منها . أباطح ذات إمراع : خصبة. المرع : الكلأ . الحمول : الإبل المحملة بالأمتعة الغروب : الدلاء . و أتراع: ممتلئة .

(1)– المصدر السابق ، ص 169. تكف الدموع :تسيل . شطت بها قذف : أي نأت و بعدت . الغربة : البعد. البين : الفراق . الحدوج : الإبل . عزفوا : رحلوا. شفها : آلمها و أضناها . تعتكف الهوم : تلازم.

(2) - المصدر نفسه ، ص 157 .

عَفَاهُنَّ صَيْفِي الرَّبِيعُ ووَاكِفٌ مِنَ الدَّلْوِ رَجَّافُ السَّحَابِ هَمُوعُ

فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ مَوْقِدُ النَّارِ حَوْلَهُ رَوَاكِدُ أمْثَالُ الحَمَامِ وُقُـوعُ

فَدَعْ ذِكْرَ دَارٍ بَدَدَتْ بَيْنَ أَهْلِهَا نَوَى فَرَّقَتْ بَيْنَ الجَمِيعِ قَطُوعُ

يبدأ "حسان بن ثابت" قصيدته قائلا: أحرك شوقك من "أم الوليد" منازل قومها الخالية من أهلها، بفعل العوامل الطبيعية القاسية، حتى لم يبق فيها سوى حجارة الأثافي على الأرض وكأنها طير حمام. لكنه لا يلبث أن ينهي نفسه عما هو فيه من تذكر دار باعدت بين أهلها وفرقتهم وكانت سببا في قطع حبل الوصال.

ويطالعنا "حسان بن ثابت" بقصيدة شخَّص فيها الدار، وأخرجها عن طبيعتها الجامدة في قوله: [1]

لِمَنِ الدَّارُ أَقْفَرَتْ بِبُوَاطِ غَيْرَ سُفْعٍ رَواكِدٍ كَالغَطَاطِ

تِلْكَ دَارُ الأَلُوفِ أَضْحَتْ خَلاَءً بَعْدَمَا قَدْ تَحُلُّهَا فِي نَشَاطِ

دَارُهَا إِذْ تَقُولُ مَالِ ابْنِ عَمْرٍو لَجَّ مِنْ بَعْدِ قُرْبِهِ فِي شَطَاطِ

بَلِّغَاهَا بِأَنَّنِي خَيْرُ رَاعٍ لِلَّذِي حَمَّلْتِ بِغَيْرِ افْتِرَاطِ

لهذه الأطلال دلالة خاصة، جعلت الشاعر يتحاور مع نفسه من جهة من خلال سؤالها عن الدار التي هجرها أصحابها ودرست فأضحت خلاءً، ولم يبق منها غير الأثافي قابعة كطائر القطا، فتجيبه بأنها دار الألوف، ومع الديار من جهة أخرى بصورة جميلة.

الربوع : منازل القوم. المنازل البلاقع: المقفرة . جميع : مجتمعون . صيفي الربيع : مطر الربيع. المطر الواكف : الهاطل. الدلو : اسم أحد الأبراج . المطر الهموع : السيال .
الرواكد: الأثافي و هي الأحجار التي توضع عليها القدر .

(1)– المصدر السابق ، ص 143. أقفرت الدار : هجرها أصحابها . و بواط : واد من أودية القبيلة. و قالوا : هو جبل من جبال جهينة بناحية رضوى . و الغطاط : درب من القطا . الفتاة الألوف : الحسنة المعشر.
ابن عمرو : هو حسان نفسه . لج في الأمر: لازمه . بغير افتراط : بغير تقصير .

هذه الدار التي عاتبته ولامته على بعده لها، فيبلغها بأنه ما زال وفيا لها. فالمكان أصبح ناطقا بعيدا عن صورته الجامدة من خلال هذه التساؤلات.

ويقف "حسان بن ثابت" في أبيات أخرى ضمنها وصف الديار ومعاني الغزل قائلا:[1]

لِمَنِ الدَّارُ والرُّسُومُ العَوَافِي بَيْنَ سَلْعٍ وأَبْرَقِ العزَّافِ

دَارُ خُودٍ تَشْفِي الضَجِيعَ بِعَذْبِ الطَّـ ـعْمِ مُزٍ وبَارِدٍ كَالسِّلاَفِ

مَا تَرَاهَا عَلَى التَعَطّلِ وَالبـذْ لَةِ إلاَّ كَدُرَّةِ الأَصدَافِ

يبدأ "حسان بن ثابت" بالتساؤل عن الدار التي عفت ودرست آثارها مجيبا نفسه بأنها دار الحسناء، متذكرا أيام الصبا واللهو معها في ذلك المكان، حيث قرن المرأة والتغزل بها بهذه الدار. هذا الارتباط إعادة لصورة الماضي الذي جسد معاني الشوق والمكان

وكل هذا كان نتيجة الارتباط النفسي بين الشاعر والمكان.

وقد ربط "حسان" المكان بالزمان في بعض قصائده.... فالزمان مرتبط بالماضي والمكان متمثل في الديار التي قضى فيها أيام الصبا، فيذكر عددا من هذه الأماكن التي لها وقع في نفسه، والتي حركت مشاعره عند مروره بها منها (عاذبُ، ذي نفر، الأعراف الضارب، الخربة)، وكل هذه الأمكنة مرتبطة بالحبيبة، فقد عبر عن هذه الديار وما آلت إليه بعد الفراق بعاطفة صادقة ومشاعر حزينة إذ يقول: [2]

قَدْ تَعْفَى بَعْدَنَا عَـاذِبُ مَا بِهِ بَادٍ وَلاَ قَـارِبُ

(1)– المصدر السابق ، ص ص 165،166 . الرسوم العوافي: الديار الدارسة . سلع : جبل بسوق المدينة أو موضع بقربها . أبرق العزاف: جبل من جبل الدهناء. السلاف : أجود أنواع الخمر . التعطل و البذلة : ترك الزينة.

(2) - المصدر نفسه، ص ص 32 ، 33. تعفى: درس و امحى . عاذب: اسم موضع قريب من رهبى . البادي: الذي يكون في البادية . القارب : طالب الماء ليلا .

غَيَّرَتْهُ الرِّيحُ تَسْفِي بــهِ وَهَزِيمٌ رَعْدُهُ وَاصِبُ

(وَلَقَدْ كَانَتْ تَكُـونُ بــهِ طَفْلَةٌ مَمْكُورَةٌ كَاعِـبُ

وَكَّلَتْ قَلْبِـي بِذِكْرَتِهَـا فَالـهَوَى لِي فَادِحٌ غَالِبُ

لَيْسَ لِي مِنْهَـا مُوَاسٍ وَلاَ بُدَّ مِمَّا يَجْلُبُ الجَالِـبُ

(وَكَأَنِّـى حِيـنَ أَذْكُرُهَـا مِنْ حُمَيّـا قَهْوَةٍ شَارِبُ

أَكَعَهْدِي هَضْـبُ ذِي نَفَرَ فَلِوَى الأَعْرَافِ فَالضَارِبُ)

فَلِـوَى الخَرْبَةِ إِذْ أَهْلُنَـا كُلُّ مُمْسَى سَامِرٌ لاَعِبُ

(فَابْكِ مَا شِئْتَ عَلَى مَا انْقَضَى كُلُ وَصْلٍ مُنْقَضٍ ذَاهِبُ

لَوْ يَـرُدُّ الدَّمْعُ شَيْئًـا لَقَدْ رَدَّ شَيْئًا دَمْعُكَ السَّاكِـبُ

يصور الشاعر حزنه على ما أصاب الديار من البِلى، وفراق الأحبة، وليس له عزاء إلا إيمانه بأن ما يأتي به القدر لابد واقع، ثم نجده يوجه الخطاب لنفسه قائلا: «أكعهدي» ويتذكر الزمان الماضي حين كانت هذه الديار عامرة بالأهل والأحبة يسمرون ويلعبون فيها كل مساء، فيأمر نفسه بالبكاء على هذه الذكريات رغم علمه بأن كل وصل منقض ذاهب، وأن الدمع لا يجدي شيئا. فقد ارتبطت هذه الأماكن بما تثيره من مشاعر مرهفة ومعاناة بالشاعر، فللمكان قدرة تأثيرية كبيرة على الشاعر، ودلالة مرتبطة بزمن الماضي.

سفت الريح التراب و غيره : حملته و ذرته . و غيث هزيم : لا يستمسك كأنه منهزم عن سحابة . الواصب : الدائم . الطفلة : الفتاة الحسناء البضة الناعمة. الممكورة : المستديرة الساقين. الكاعب : التي نهد ثديها . الفادح: الصعب. القهوة من أسماء الخمر. و حميا القهوة: شدة إسكارها . ذو نفر: موضع على ثلاثة أميال من السليلة بينها و بين الربذة ، و قيل خلف الربذة بمرحلة في طريق مكة . الأعراف كثيرة في بلاد العرب منها : أعراف لبنى ، و أعراف غمرة ، و أعراف نخل ، و يوم أعراف من أيامهم . الضارب : اسم موضع باليمامة . الخربة بضمّ الخاء: اسم موضع عند السلمي ، و قيل : هو ماء في ديار بني سعد بن ذبيان بن بغيض .

ومجمل القول: إن المكان ملجأ الشاعر في حالة فقدان الحبيبة، فكلما مر بتلك الديار أثارت شجونه، وألهبت مشاعره، وحركت أحاسيسه. فتارة يذكرها بالفناء والخراب، وتارة بالحب، فهي عزاؤه الوحيد بعد فراق الأحبة، وغدت طريقة للحديث عن الذكريات الجميلة.

ثانيا– المكان والوصف:

الوصف غرض شعري له مكانته في الشعر العربي القديم والحديث وقد عرفه "قدامة بن جعفر" بقوله: «الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات، ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني، كان أحسنهم وصفا من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها، ثم بأظهرها فيه وأولاها، حتى يحكيه بشعره، ويمثله للحس بنعته». [1]

فالوصف عنده هو ذكر الأشياء في مظهرها الحسي، وتقديمها للعين في صورة تعكس المشهد، وأحسن الشعراء وصفا من ذكر المعاني، فلا يترك منها شيئا يتم به صحتها وجودتها إلا أتى به.

والوصف لا يؤلف في الحقيقة غرضا مستقلا بذاته، إنما هو مشترك بين جميع الأغراض.[2]

ولعل "ابن رشيق" لم يخطئ حين عد كل أنواع الشعر وصفا في قوله: « الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف».[3]

ومن ألوان الوصف الشائعة في الشعر العربي القديم، وصف الديار والمنازل التي عفت وأضحت أطلالا، فجاء وصفهم تعبيرا عن استجابة هذه النفوس، وعن صلة الشاعر بهذا

(1) - قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق ، كمال مصطفى، ط 3 ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، (د ت) ص ص 118، 119 .

(2)– ينظر : زبير دراقي المفيد الغالي في الأدب الجاهلي ، ص 56.

(3)– ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر ، و آدابه، و نقده، حققه و فصله و علق حواشيه، محمد محي الدين عبد الحميد ، ط 5 ، دار الجيل ، بيروت، لبنان ، 1981 م ، ج 2 ، ص 294.

المكان ، فقد يصبح علامة دالة على واقعه اليومي، ووضعه المعاش، أو صورة لأحلامه وأمانيه.

ومن أمثلة وصف الأطلال وتحديد موقعها يقول" حسان بن ثابت": [1]

أَتَعْرِفُ الدَّارَ عَفَـا رَسْمَهَا بَعْدَكَ صَوبَ المُسْبِلِ الهَاطِلِ

بَيْنَ السَّرَادِيحِ فَأُدْمَانَــةٍ فَمَدْفَعِ الرَّوْحَاءِ فِي حَائِـلِ

سَاءَلْتُهَا عَنْ ذاكَ فاسْتَعْجَمَتْ لَمْ تَدْرِ مَا مَرْجُوعَةِ السَّائِلِ

يبدأ "حسان" قصيدته بسؤال نفسه إن كان قادرا على التعرف إلى الدار التي عفا رسمها، فيذكر الأماكن التي تحددها تحديدا جغرافيا، على الرغم من تحولها إلى رسوم دارسة. دار الحبيبة الواقعة بين « السراديح »، « أدمانة »، « مدفع الروحاء» «حائل»

ثم ينتقل بوصفه من المظهر الخارجي إلى لب الطلل عبر حوار أجراه معه وهذا لوجود علاقة وجدانية بين ذات الشاعر وهذه الدار.

وقوله في قصيدة أخرى مسائلا نفسه عن المنزل الذي عفا وأضحى خلاءً، بعد هجر أهله وارتحالهم إلى أماكن أخرى وإبانة ما فعلته العوامل الطبيعية له: [2]

لِمَنْ مَنْزِلٌ عَافٍ كَأَنَّ رُسُومَهُ خَيَاعِيلُ رَيْطٍ سَابِرِيٍّ مُرَسَّمِ

خَلاَءُ المَبَادِي مَا بِهِ غَيْرُ رُكَّدٍ ثَلاَثٍ كَأَمْثَالِ الحَمَائِمِ جُثَّمِ

(1)– حسان بن ثابت ، الديوان، ص 194. المسبل : المطر . السراديح : المكان المتسع من الوادي . أدمان : شعبة تدفع عن يمين بدر. الروحاء : موضع بين الحرمين . حائل: اسم جبل بنجد بينه و بين اليمامة أربع . و قال أبو حاتم : حائل : طائفة من رمل يبرين. استعجمت : لم تجب . مرجوعة السائل : جوابه .

(2)– المصدر نفسه ، ص ص 232، 233. الخياعيل : جمع خيعل و هو ضرب من الثياب. الثوب السابري : الرقي . المرسم : ذو الرسوم .

الشجيج : الوتد . الماثل : المنتصب . تعل رياح الصيف : تتداوله . الهشم : التمر الجاف . العافي المثلم: كناية عن الحفير الذي يكون حول الخباء أو الخيمة يمنع السبل. الجون : السحاب المشبع بالمطر . الوابل : الماطر بغزارة. لم يتصرم : لم ينقطع.

وَغَيْرُ شَجِيجٍ مَاثِلٍ حَالَفَ البِلَى وَغَيْرُ بَقَايَا كَالسَّحِيقِ المُنَمْنَمِ

تَعُلُّ رِيَاحُ الصَّيْفِ بَالِي هَشِيمِهِ عَلَى مَاثِلٍ كَالحَوْضِ عَافٍ مُثَلَّمِ

كَسَتْهُ سَرَابِيلُ البِلَى بَعْدَ عَهْدِهِ وَجَوْنٌ سَرَى بِالوَابِلِ المُتَهَزِّمِ

وَقَدْ كَانَ ذَا أَهْلٍ كَبِيرٍ وَغِبْطَةٍ إِذَا الحَبْلُ حَبْلَ الوَصْلِ لَمْ يَتَصَرَّمِ

أراد"حسان بن ثابت" من خلال هذه الوقفة، أن يبرز صمود الطلل، بذكر البقايا الشاهدة عليه: «الركد »، «شجيج ماثل»، «بقايا كالسحيق المنمم»، وخلوده على الرغم مما تعرض له من عوامل الطبيعة. فقد كان عامرا بأهله لو لم ينقطع حبل الوصل ، فهذا الطلل هو الماضي المفعم. بالحب المرتبط بالشاعر.

كما نلفي للشاعر رؤية مختلفة تجاه المنازل في قوله: [1]

كَمْ للمَنَازِلِ مِنْ شَهْرٍ وَأَحْـوَالِ كَمَا تَقَادَمَ عَهْدُ المُهْرَقِ البَالِـي

بِالمُسْتَوِى دُونَ نَعْفِ القَفِّ مِنْ قَطَنٍ فَالدَافِعَاتِ أَوْلاَتِ الطَّلْحِ وَالضَّالِ

أَمْسَتْ بَسَابِسَ تَسْتَنُّ الرِّيَاحُ بِهَـا قَدْأُشْعِلَتْ بِحَصَاهَا أَيَّ إِشْعَـالِ

يبدو أن "حسان" مدرك للظاهرة الوجودية، التي تتحكم في صيرورة الأشياء بما في ذلك المنازل، وتحولها من حال إلى حال، كما يحدث لباقي مظاهر الطبيعة

الشجيج : الوتد . الماثل : المنتصب . تعل رياح الصيف : تتداوله . الهشم : التمر الجاف . العافي المثلم: كناية عن الحفير الذي يكون حول الخباء أو الخيمة يمنع السبل. الجون : السحاب المشبع بالمطر . الوابل : الماطر بغزارة. لم يتصرم : لم ينقطع.

(1) - المصدر السابق ، ص ص 191 ، 192. المهرق : الصحراء الملساء، تشبيها بالصحيفة . القف : الأمكنة العالية . النعف : ما انحدر من غلظ الجبل . قطن : جبل بالعالية. الطلح: ضرب من العضاه . الضال: السدر البري . البسابس : المفازة و الصحراء الواسعة .

فالمنازل التي تقع بالمستوى: «دون نعف القف» «قطن» وما كان بها من الطلح والضال أمست صحراء واسعة ملساء. فالمنازل في تصور الشاعر زائلة وفانية، لكن الذي لا يفنى حسب رؤيته في هذه الأبيات هو المكان.

من مظاهر الوصف كذلك وصف الظعائن الراحلة، وهو تابع لوصف الأطلال ومتداخل معه، وفي تصوير ارتحال ظعائن شعثاء وتتبع سيرها من مكان إلى آخر يقول "حسان": [1]

أُنْظُرْ خَـِليلَيَّ بِبَطْنِ جِلِّقَ هَـلْ تُؤْنِسُ دُونَ البَلْقَاءِ مِنْ أَحَدِ

جِمَالَ شَعْثَاءَ قَدْ هَبَطْنَ مِنَ المَـ حْبَسِ بَيْنَ الكُثْبَانِ فَالسَّنَدِ

كما وصف"حسان" الأماكن الطبيعية التي تستمد جمالها من الطبيعة، والتي قليلا ما يكون للإنسان دور في إضفاء هذا الجمال عليها. ومن الأماكن التي جذبت نظره «حرة واقم» بالمدينة، فوصف جمالها قائلا: [2]

لَنَا حرَّةٌ مَأْطُورَةٌ بِجِبَالِهَا بَنَى المَجْدُ فِيهَا بَيْتَـهُ فَتَأَهَّـلاَ

بِـِهَا النَّخْلُ وَالأَطَامُ تَجْرِي خِلاَلَهَا جَدَاوِلُ قَدْ تَعْلُو رَقَاقًا وَجَـرْوَلاَ

إِذَا جَدْوَلٌ مِنْهَا تَصَرَّمَ مَـاؤُهُ وَصَلْنَا إِلَيْـهِ بِالنَّوَاضِـحِ جَدْوَلاَ

عَلَى كُلِّ مِفْهَاقٍ خَسِيفٍ غُرُوبُهَا تُفَرِّغُ فِي حَوْضٍ من الصَّخْرِ أَنْجَلاَ

(1)– المصدر السابق، ص ص 73، 74. جلق : اسم لكورة الغوطة كلها ، و قيل : بل هي دمشق نفسها . البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام و وادي القرى .المحبس :اسم موضع . السند : بلد معروف في البادية ، و هو أيضا ماء معروف لبني سعد و قرية من قرى هراة .

(2) - المصدر نفسه ، ص 208 . الحرة : الأرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار و الجمع حراث و المراد هنا حرة واقم بالمدينة . الأطام : الحصون. الجرول : الحجارة. تسرم الماء : نفد . النواضح : الإبل التي يستقى عليها . المفهاق : صفة للبئر و هي الملأى بالماء. و الخسيف: البئر كثر فيها الماء. الغروب : الماء. الأنجل : الكثير .

لَهُ غَلَلٌ في ظِلِّ كُلِّ حَدِيقَـةٍ يُعَارِضُ يَعْبُوبًا من المَاءِ سَلْسَـلاَ

إِذَا جِئْتَهَا أَلْفَيْتَ في حَجَرَاتِهَـا عَنَاجِيجَ قُبًّـا وَالسَّوَامَ المُؤَبَّـلاَ

فهو يصف هذه الأرض بجبالها، وخضرتها، وحصونها، ونخيلها، وجداول الماء التي تتخللها والآبار المملوءة بالمياه التي تنساب في ظل كل حديقة، والخيل الحسان الضوامر والإبل الأنيقة. هذه الصفات انعكست ايجابيا على جمالية المكان، وأبرزت روح الشاعر المنفتحة في ذلك المكان، والممتزجة به مظهرا كل الصفات الجمالية له.

وهنا يمكن الاستعانة بشجرة الوصف لـ"جون ريكاردو"(Jean Ricardeau) لنقدم تخطيطا للمكان الرئيسي في هذه الأبيات:

تأتي شجرة الوصف عند" جون ريكاردو" على الشكل الآتي:[1]

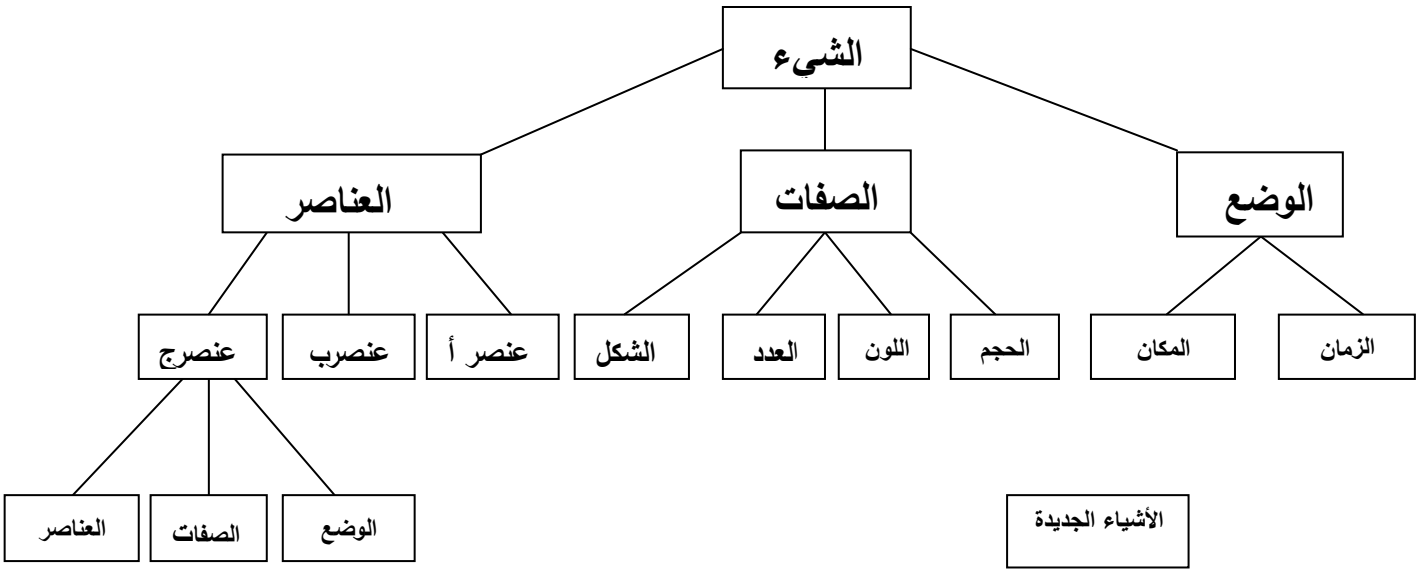

اليعبوب : النهر . الحجرة : بفتح الحاء : الجهة و الناحية . العناجيج : حسان الخيل. الخيل القب : الضوامر . السوأم : الإبل . المؤبل : الأنيق .

(1) - سيزا قاسم ، بناء الرواية ، ص 125.

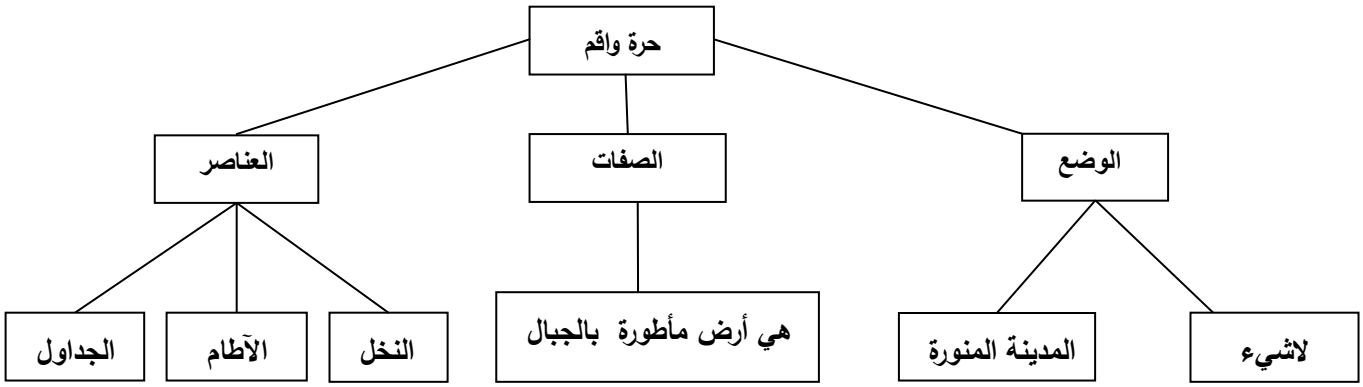

هذه إذن هي صفات "حرة واقم" وعناصرها.

إن توظيف المكان من خلال الوصف عند "حسان" نلفيه متعدد التمظهر، فهو يكشف عن طريقة الشاعر الخاصة في تصويره، ولعل أكثر الأماكن التي وصفها هي الديار والمنازل التي عفت وصارت أطلالا بعد هجر قاطنيها، وقد تميز هذا الوصف بالدقة وإبانة ما فعلته العوامل الطبيعية وتقادم الزمن، إذ عمد الشاعر إلى ذكر أسماء الأماكن وتحديد مواقعها بالضبط، بغية إضفاء صفة الخصوصية عليها، وإبراز قيمتها. كما وصف ارتحال الظعائن وتتبع سيرها من مكان إلى آخر، وصف كذلك الأمكنة الطبيعية التي وجد فيها جمالا وروعة، والتي ارتبط بها لإحساسه بالراحة فيها.

ثالثا– المكان والمديح:

يعتبر المديح من الأغراض الشعرية الدائمة الحضور في الشعر العربي وهو «التغني بالمزايا الرفيعة والفعال الحميدة عند الفرد وبمناقب الجماعة ومآثرها عند القبيلة والأسر الحاكمة».[1]

والمديح في الشعر العربي مرده إلى أمرين، الأول: حب التكسب لتحقيق منافع دنيوية

أما الأمر الثاني: فهو الإعجاب بالممدوح فيشيد الشاعر بفضائله من: كرم، وعفة وشجاعة

(1)– زبير دراقي ، المفيد الغالي في الأدب الجاهلي ، ص 70.

إلى غير ذلك من السجايا.[1]

والملاحظ على المديح في هذه الفترة، أن الشعراء اتخذوا من المكان وسيلة للوصول إلى الممدوح. فكان وصف الرحلة في قصيدة المديح «تعبير عن انفعال فني مبدع وانفعال نفسي مفتعل، فيلجأ الشاعر إلى تحديد المكان إذ لابد أن تتضمن الرحلة الانتقال والحركة وتبدأ من مكان وتنتهي بالمكان المقصود». [2]

ينطلق الشاعر من وصف أماكن الرحلة، وبيان أهوالها و مخاطرها، وما قطع من المفاوز، وما واجه من المصاعب قصد بلوغ الممدوح والتقرب منه، ونلمس هذا في قصيدة لـ "حسان" يصف فيها رحلته قاصدا " النضيرة "(*) حيث يقول:[3]

عَوَجٍ نَواجٍ يَعْتَلِينَ بِنَـا يُعْفِينَ دُونَ النَّصِّ وَ الزَّجْرِ

مُسْتَقْبِلاتٍ كُـلَّ هَاجِرَةٍ يَنْفَحْنَ في حَلَقٍ من الصُفْرِ

ومُنَاخُهَا في كُلِّ مَنْزِلَـةٍ كَمَبِيتِ جُونِيِّ القَطَا الكُدْرِ

وسَمَا على عُود فَعَارَضَنَا حِزْبَاوُهَا أو هَمَّ بالخَطْرِ

وتَكَلَفِي اليَوْمَ الطَّويلَ وقَدْ صَرَّتْ جَنَادِبُهُ من الظُّهْرِ

---

(1)– ينظر: محمد عبيد صالح السبهاني ، المكان في الشعر الأندلسي، ص 56 .

(2)– المرجع نفسه ، ص ص 58، 59. (*)- اسم إمرأة .

(3)– حسان بن ثابت ، الديوان ، ص ص 105 ، 106 . عوج : جمع عائجة . و النجية العائجة : السهلة الإنقياد . نواج جمع ناجية : و الناقة الناجية: السريعة0. و النص : درب من سير الإبل سريع . الهاجرة: نصف النهار في القيظ أو شدة الحر . و ناقة هاجرة : فائقة. ينفحن : أي يرفسن بأرجلهن . و حلق من الصفر : أي الحلق المصنوع من النحاس.
الجوني و الكدر : نوعان من القطا . و القطا: طائر في حجم الحمام .
الخطر : تحريك الذنب : صر الجندب: صات . و الجندب : ضرب من الجراد
الظهر : الظهيرة وقت اشتداد الحر .

واللَّيْلَةَ الظَّلْمَاءَ أُدْلِجُهَا بِالقَومِ في الدَّيْمُومَةِ القَفْرِ

يَنْعَى الصَدَى فِيهَا أَخَاهُ كَمَا يَنْعَى المُفَجَّعُ صَاحِبَ القَبْرِ

وَتَحُولُ دُونَ الكَفِّ ظُلْمَتُهَا حتَّى تَشُقَّ على الذِي يَسْرِي

ولَقَدْ أَرِيْتُ الرَّكْبَ أَهْلَهُمُ وهَدَيْتُهُمْ بِمَهَامَـةٍ غُبْـرِ

وبَذَلْتُ ذَا رَحْلِي وكُنْتُ بِهِ سَمْحًا لَهُمْ في العُسْرِ واليُسْرِ

فَإِذَا الحَوادِثُ مَا تَضَعْضِعُنِي ولاَ يَضِيقُ بحَاجَتِي صدْرِي

ويواصل

أَنَضِيرَ مَا بَيْنِي و بَيْنَكُمْ صَرْمٌ ومَا أَحْدَثْتُ مِنْ هَجْـرِ

جُودِي فإنَّ الجُودَ مَكْرُمَةٍ واجْزِي الحُسَامَ بِبَعْضِ ما يَفْرِي

وصف لنا الشاعر الإبل وهن يسرن مسرعات دون زجر وقت الظهيرة في القيظ ويتجاوزن الأراضي، و يطوين البيد، كما صور لنا من مفاوز و قفار مع قومه ليلا وتبيان أن السير فيها ليلا خطر جدا.

هذا الوصف للمكان، وتبيان، ومقدرة الشاعر في تفادي الأخطار التي يتعرضون لها

الصدى : ذكر البوم . و النعي : الإخبار عن الميت . المفجع : المفجوع .
صاحب القبر : الميت . تحول : تمنع . يسري : يسير فيها ليلا. المهام : المفازة أو الصحراء الواسعة أو المقفرة .
أنضير : منادى مرخم نضيرة . الصرم : الهجر و التجافي .
الحسام : لقب حسان . يفري : يشق .

وقوة تحكمه وتوجيهه يحمل معنى العزم والهمة للاتجاه صوب الممدوح –النضيرة– طالبا منها أن تجود عليه بعفوها، وتقبل اعتذاره –فالاعتذار نشأ من المديح– محاولة منه استرجاع العلاقة الطيبة بينه و بينها.

و قد يبدأ الشاعر –في مدحه– بذكر الأماكن الخالية وصولا إلى الأماكن الأليفة التي يحلم بالوصول إليها، وهي أماكن الممدوح لأن «لطافة الخروج إلى المديح سبب ارتياح الممدوح».[1]

وبهذا ربط الشعراء بين المكان والمديح، وهذا ما ذهب إليه "حسان" في مدحه ملوك الغساسنة حين قال:[2]

أَسَأَلْتَ رَسمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ بَيْنَ الجَوابِي فالبَضيعِ فَحَوْمَلِ

فَالمَرْجِ مَرجِ الصُفَّرَيْنِ فَجَاسِمٍ فَدِيارِ سَلْمَى دُرَّسًا لَـمْ تَحْلَلِ

ويواصل:

للهِ دَرُّ عِصابَـةٍ نادَمْتُهُـمْ يَومًا بِجِلِّقَ في الزَّمـانِ الأوَّلِ

يَمشُونَ في الحُلَلِ المُضَاعَفِ نَسْجُهَا مَشْيَ الجِمالِ إلى الجِمالِ البُزَّلِ

الضَارِبونَ الكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُـهُ ضَرْبًا يَطِبحُ لهُ بَنَانُ المفَصِـلِ

والخَالِطونَ فَقِيرَهُـمْ بَغَنِيِّهِمْ والمُنْعِمونَ على الضَّعِيفِ المُرْمَلِ

(1)– ابن رشيق ، العمدة ، ج1 ، ص 217.

(2)– حسان بن ثابت ، الديوان ، ص ص 183، 184. الجواني : اسم موضع بالشام. و البضيع : جبل باشام أسود، و يقيل: هو جبل الكسوة على الغوطة . و حومل : اسم مكان . و حومل و الدخول و المقراة و توضح في شعر إمرئ القيس مواضع بين أمرة و أسود العين. مرج الصفر : بدمشق. و جاسم : اسم قرية على يمين الطريق الأعظم إلى طبرية. العصابة : جماعة الرفاق . حلق : دمشق . الحلل : الثوب. البزل من الجمال : التي استكملت السنة الثامنة و طعنت في التاسعة. الكبش : قائد الكتيبة . و يطيح : يذهب. المرمل: الفقير .

أولادُ جَفْنَةَ حَـوْلَ قَبْرِ أَبِيهم قَبْرِ ابنِ مَارِيَةَ الكَرِيمِ المُفْضِـلِ

يُغْشَونَ حتى ما تَهِرُّ كِلابُهُـمْ لا يَسألونَ عنِ السَّوادِ المُقبِـلِ

بدأ "حسان" يذكر الديار وما آلت إليه من البِلى، وفي تعداد هذه المواضع ما يدل على خبرته بديار آل جفنة ومنازلهم، وارتباطها العميق الأثر في نفسه، ولا يلبث أن يلج إلى مدح ملوك الغساسنة الذين عاشرهم في دمشق منذ أمد بعيد، ثم يأخذ في وصف كرمهم اللامحدود، وشرف أصلهم ونسبهم.

ويذهب " حسان " إلى ذات الأسلوب في مدح "جبلة ابن الأيهم"* حيث يقول:[*] [1]

لِمَنِ الدَّارُ أَوحَشَتْ بِمَعَانِ بينَ أَعْلاَ اليَرْمُوكِ فالخمَّانِ

فالقُرَيَّاتِ منْ بِلاَسَ فَدَارِيَـ ـا فَسَكَّاءَ فَالقُصُورِ الدَّوانِي

فَقِفَا جَاسِمِ فَأَوْدِيَةِ الصُفْـ ـرِ مَغْنَى قبائلٍ وهِجـانِ

تِلكَ دَارُ العزِيزِ بعدَ أَنيسٍ وحُلولٍ عَظيمَةِ الأَرْكـانِ

حرص "حسان" على هذا الأسلوب الشعري، وهو ذكر الأماكن الخالية ثم التخلص إلى مكان الممدوح، فذكر الدار التي أوحشت وحددها بدقة، وكل هذه المواضع التي ذكرها كانت مقر ملك آل جفنة الغساسنة، ليصل إلى مكان الممدوح، فيخبرنا بأنها دار العزيز "جبلة" التي كان يأنس بالبيوت المجتمعة بها والعظيمة الأركان. وبهذا زاوج الشاعر بين المكان والمديح.

لم ينس "حسان" المطلع الطللي حتى وهو يمدح "الرسول"(صلى الله عليه وسلم)

ابن مارية : هو الحارث الأعرج . المفضل : صاحب الفضل .
يغشون : يقصدون و يأتون . حتى ما تهر كلابهم : فكلابهم لا تنبح لأنها اعتادت مرأى .
(*) جبلة بن الأيهم (بن جبلة الغساني) : من آل جفنة . آخر ملوك الغساسنة في بادية الشام عاش زمنا في عصر الجاهلية، و قتل المسلمين في دومة الجندل سنة 12 ه أسلم ثن ارتد في المدينة .
(1)– المصدر السابق ، ص 247 . المواضيع التي ذكرها كانت مقر ملك آل جفنة الغساسنة ، و هي بأكناف دمشق.

ويهجو"أبا سفيان"، في قصيدته الهمزية التي يقول في مطلعها:[1]

عَفَتْ ذاتُ الأصَابِعِ فالجِواءُ إلى عَذْراءَ مَنْزِلُهَا خَلاءُ

ديارٌ منْ بَني الحَسْحَاسِ قَفْرٌ تُعَفِّيها الرَّوَامِسُ والسَّمَاءُ

وهكذا كان "حسان" يتناول عدة أغراض شعرية في قصيدته واحدة أبرزها المدح، والفخر، والهجاء.

ومن سبل الشاعر في المدح أيضا، اللجوء إلى أجمل الأساليب المتمثلة بالإيضاح والمعاني الجزلة، والألفاظ النقية، والإشادة بالممدوح في أجمل الصفات. [2]

، واللجوء إلى ذكر أفضل الأماكن التي تليق بمقام الممدوح، ولعل المكان الطبيعي من بينها، فيمزج الشاعر بين هذا المكان وشخصية الممدوح، يقول"حسان" : [3]

وَأَلْفَيتُهَ بَحرًا كثيرًا فُضولُهُ جَوادًا متى يُذْكَرْ لهُ الخَيْرُ يَزْدَدِ

في هذا البيت يمدح "النعمان بن المنذر" ويضفي عليه دلالات المكان المتمثل في البحر فالبحر معروف عنه بصفات الجود والاتساع، فمكارم الممدوح وفضوله يتعذر عنها الوصف. وعلى الرغم من هذه المبالغة في وصف الممدوح الذي كان كريما مع الشاعر، فإننا نلمح فيها أسلوبا رشيقا رفع من القيمة الفنية لهذا البيت.

ومن هذا المنطلق وهذه الرؤية يزاوج "حسان" بين الشهاب والبدر والممدوح النبي (صلى الله عليه وسلم) لما لهذين المكانين من دلالة بارزة ومعروفة، حيث يقول: [4]

(1)– المصدر السابق ، ص ص 17، 18.
(2)– ينظر: ابن رشيق ، العمدة، ج 2 ، ص 128.
(3)– حسان بن ثابت، الديوان ، ص 82. ألفيته : وجدته . بحرا : أي بحر في الجود و العطاء ، فضوله : أراد فضله و كرمه.
(4)– المصدر نفسه ، ص 55.

وافٍ وماضٍ شهابٌ يُستَضاءُ بهِ بَدْرٌ أنارَ على كُلِّ الأمَاجيدِ

"فالرسول"(صلى الله عليه وسلم) شهاب يجامع الإضاءة، وبدر يجامع الإنارة والجمال وتشبيه الشاعر "للرسول" (صلى الله عليه وسلم) بالشهاب مرة، وبالبدر مرة أخرى بيان لحال "النبي"(صلى الله عليه وسلم) من هداية الضالين وإنارة دربي المستنيرين، ومتى اقترن اسم الممدوح بالشهاب، بالبدر ظهرت مكانته وعلا قدره وبان فضله.

لقد استطاع "حسان" أن يلج إلى نفوس ممدوحيه وأهوائهم من خلال أشعاره الناطقة بالمشاعر والعواطف الصادقة، فكان المكان بأنواعه، الطبيعي وأماكن الرحلة، والأطلال مصدر إلهام له، فجسد من هذه الأماكن ما يناسب مقام الممدوح ومكانته.

رابعا . المكان والفخر:

لعب المكان دورا هاما في تحفيز الشعراء على التفاخر وإبراز مكانتهم، ومكانة قبائلهم، وهو« الاعتداد بالمناقب والمكارم المجسمة في الفرد أو في القبيلة».[1]

والفخر متصل بالمدح، وبالحماسة لدوران الأغراض الثلاثة حول الخصال والمناقب التي يعتد بها العربي.[2]

فقد كانت البيئة القديمة مصدر إلهام للشاعر، يحملها دلالات مكانية في حله وترحاله وقد استحضر "حسان بن ثابت" في سياق الافتخار كل معاني الانتماء و الارتباط بالمكان فيقول:[3]

أسَألتَ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لمْ تَسألِ بَيْنَ الجَوابِي فَالبَضيعِ فَحَومِلِ

فالمَرجِ مَرجِ الصُفَّرَينِ فجاسِمٍ فديارِ سَلمَى دُرَّسًا لَم تَحْلَلِ

(1)– زبير دراقي ، المفيد الغالي في الأدب الجاهي ، ص 76.
(2)– ينظر ، المرجع نفسه ، ص 183.
(3)– حسان بن ثابت ، الديوان ، ص 183. الأمكنة التي ذكرها هي من منازل آل جفنة الغساسقة . المدجنات ، الغيوم السوداء . السماك الأعزل : نجم في السماء .

دِمَنٌ تعاقَبَهَا الرِّيَاحُ دَوارِسٌ والمُدْجِناتُ مِنَ السِّماكِ الأَعْزَلِ

دَارٌ لقَومٍ قَدْ أرَاهُمْ مَـرَّةٌ فوقَ الأَعِزَّةِ عِزُّهُمْ لمْ يُنْقَـلِ

يزخر هذا المقطع بأسماء الأماكن: «الجوابي»، «البضيع»، «حومل»، «مرج الصفرين»، «جاسم»، ولكن هذه الديار لم تأت في سياق التوجع والتحسر على الماضي

إنما جاء ذكرها في سياق الفخر والاعتزاز. وإذا كان "حسان" يشيد بالمكان و صموده أمام الزمن بفعل التقادم، ومؤثرات الطبيعة عليها، فإنه يشيد في الوقت ذاته بنفسه، ويعتز بمكانة قومه ومنزلتهم بين القبائل، وعلو شأنهم، من خلال منزلة من يقيم بينهم.

كما افتخر "حسان بن ثابت" بالمكانة الرفيعة التي بلغها قومه، حيث ربطها بالأماكن العالية والسامية قائلا:[1]

ألاَ أيُّهَا السَّاعي لِيُدْرِكَ مَجدَنَـا نَأَتْكَ العُلَى فَارْبَعْ عَليْكَ فسَائِلِ

فَهَلْ يَسْتَوي مَاءانِ أخْضَرُ زاخِرٌ وحِسْيٌ ظَنونٌ مَاؤُهُ غَيرُ فَاضِلِ

فمنْ يَعدِلُ الأذْنابَ وَيْحَكَ بالذُّرَى قَدْ اخْتَلَفا بِرٌّ يَحِقُّ بِبَاطِـلِ

تَنَاوَلْ سُهَيْلاً في السَّمَاءِ فَهَاتِـهِ سَتُدْرِكُنا إنْ نِلْتَهُ بالأنامِـلِ

أَلَسْنا بِحَلاَّلِينَ أرضَ عَدُوِّنَـا تَأَرَّ قَليلاً سَلْ بِنَا في القَبَائِـلِ

تَجِدْنَا سَبَقْنا بالفِعَالِ وبالنَـدَى وأمْرِ العَوالِي في الخُطوبِ الأوائِلِ

فقد أجاد الشاعر في تشبيه منزلة قومه بمنزلة سهيل في الارتفاع والسمو، وهو يشترط على من يسعى لإدراك مجدهم أن يتناول هذا النجم في السماء ويأتي به، وحينئذ سيجدهم قد سبقوا غيرهم بالأفعال الحميدة، وبالكرم، وبانتزاع النصر.

(1)– المصدر السابق ، ص 186. نأى : بعد . أربع عليك : تمهل . الماء الأخضر الزاخر : الكثير الغامر . الحسي : القليل . سهيل : نجم يهي . طلوعه على بلاد العرب في أواخر القيظ تأر : انتظر . سل بنا : إسأل عنا.

تمثل هذه الأمكنة المرتفعة (السماء، النجم سهيل) مصدرا لمعاني الرفعة والسمو والثبات ولعل قيمتها آتية من علوها.

وإلى المعنى ذاته يذهب "حسان بن ثابت" في فخره بنسبه الشريف حيث يقول:[1]

أَلَمْ تَرَنا أَوْلادَ عَمْرِو ابْنِ عامـرٍ لنا شرَفٌ يَعلو على كُلِّ مُرْتَقَى

رَسَا في قرارِ الأرضِ ثمَّ سَمَتْ لَهُ فُرُعٌ تُسامِي كلَّ نجْمٍ مُحَلِّـقِ

مُلوكٌ وأبناءُ الملـوكِ كأنَّنَـا سَوارِيُّ نُجومٍ طالعاتٍ بمَشْرق

إذَا غابَ منهَا كَوْكَبٌ لاَحَ بَعْـدَهُ شهابُ متَى ما يَبْدُ للأرضِ تُشْرِق

ومما افتخر به كذلك، ما ترك لابنه "عبد الرحمان" قائلا:[2]

أَبْلِغْ عُبَيْدا بأنِّي قَدْ تَرَكْتُ لهُ مِنْ خيرِ ما تتركُ الآباءُ للولدِ

الدَّارُ واسِعةٌ والنَّخلُ شَارِعَةٌ والبِيضُ يَرْفُلْنَ في القَسِيِّ كالبَرَدِ

يبدو أن "حسان" يتباهى بما ترك لابنه فقوله: من خير ما تترك الآباء للولد من دار واسعة، ونخل شارعة، ونساء يتبخترن في أحسن الثياب. فقد ابتدأ بالدار الواسعة وجعلها في المرتبة الأولى لأهميتها في حياة الإنسان، ولعلمه أنها سوف تضمن لابنه الحماية والاستقرار والمتعة، ثم أتبعها بباقي الملذات.

ويطالعنا بقصيدة أخرى ضمنها كل معاني الولاء والانتساب والانتماء لـ"يثرب"

(1)– المصدر السابق ، ص 171. عمرو بن عامر : هو عمرو (الملقب بمزيقاء) بن عامر (الملقب ماء السماء) ملك جاهلي يماني من التبابعة . قيل : هو أعظم ملك بمأرب ، و مزيقاء . و يقال له البهلول أيضا . هو جد الأنصار . مسامي : تفاخر . سواري نجوم : أي النجوم الساريات .

(2)– المصدر نفسه ، ص 70. النخل شاركة : دانية القطوف. البيض : كتابة في النساء. يرفلن: يتبخترن .القسي : ضرب من الثياب . البرد: ضرب آخر من الثياب المخططة.

. مسقط رأسه ومكان إقامته . مفتخرا بنفسه وبقومه في قدرتهم على الدفاع عنها بالنفس والنفيس، وقد شخصها لنا وأضفى عليها طابع الحياتية والعلم مفتخرا بها هي أيضا وهذا في قوله:[1]

وَيَثْرِبُ تَعْلَمُ أنّـا بهَـا إذَا التَبَسَ الأَمْرُ ميزانُـهَا

وَيَثْرِبُ تَعْلَمُ أنَّـا بهَـا إذَا قَحَطَ القَطْرُ نَوآنُـهَـا

وَيَثْرِبُ تَعْلَمُ أنَّـا بهَـا إذَا خَافَتِ الأوْسُ جِيرانُـهَا

وَيَثْرِبُ تَعْلَمُ أنَّ النَّبيـ ـتَ عِندَ الهَزاهِزِ ذُلاَّنُـهَا

مَتَى تَرانَا الأَوْسُ في بَيْضِنَا نَهُزُّ القَنَا تَخْبُ نِيرانُـهَـا

وَتُعْطِ القِيَادَ على رَغْمِهَـا وَيَنْزِلُ منَ الهَامِ عِصْيانُـهَـا

هذا التكرار لمدينة يثرب له وقعه الخاص في نفس"حسان" إنه الشعور بعمق رابطة الولاء والانتساب ليثرب. ونلفي له بيتا في قصيدة أخرى بالمعنى نفسه، ويقول فيه:[2]

وَيْثْرِبُ تَعلمُ أنَّا بهَا أُسودٌ تَنفُضُ ألبَادَهَا

وقال مفتخرا بنصر"الرسول"(صلى الله عليه وسلم) في يوم بني قريضة حين حصرهم حتى نزلوا على حكم" سعد بن معاذ". [3]

لَقَدْ لَقِيَتْ مَا عَظَاهَـا وَحَلَّ بِحِصْنِهَا ذُلٌّ ذَليـلٌ

وَسَعْدْ كانَ أَنْذَرَهُمْ نَصيحًـا بِأَنَّ إِلَـهَهُمْ رَبٌّ جَليـلُ

(1)– المصدر السابق ، ص 248. القطر : المطر . نوآنها : أراد الأنواء . القحط : الجدب النبيت : هو عمرو بن مالك بن الأوس . الهزاهر : الشدائد . الذلان : الأذلاء . اليض . السلاح . اليضة : من آلات الحرب لوقاية الرأس .

(2)– المصدر نفسه ، ص 87.

(3)– المصدر نفسه ، ص ص ، 195، 196. عظاها : أكرهها و ساءها .

فَما بَرِحُوا بِنَقْضِ العَهْدِ حتَّى غَزَاهُمْ في دِيَارِهِمِ الرَّسُولُ

أحاطَ بِحِصْنِهِمْ منَّا صُفُوفٌ لهُ منْ حُرِّ وَقْعَتِهَا صَلِيلُ

هذه الأبيات امتدح فيها "حسان بن ثابت" "الرسول"(صلى الله عليه وسلم)، بما حققه من نصر في عقر دار"بني قريضة"، فلقيت ما أساءها وأكرهها، وحل بحصنها الذل والهوان فكانت عبرة لغيرها.

ومن فخره بمثل هذه الانتصارات التي حققها المسلمون، ما قاله يوم بدر*- المشهود، فهو يفتخر بهذه الغزوة بأنها قاصمة ظهر الكفار، فهي نصر عظيم ومكان زاه مدى الدهر والسنين إذ يقول:[1]

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هلْ أتَى أهلَ مَكَّةٍ إبارَتُنَا الكُفَّارَ في ساعةِ العُسْرِ

قَتَلْنَا سَرَاةَ القومِ عندَ رجالِهِمْ فلمْ يَرجَعُوا إلاَّ بقاصِمَةِ الظَّهْرِ

لم يكن فخر"حسان بن ثابت" بتلك الأماكن من فراغ، إنما كان نتيجة العواطف الصادقة التي ألهبتها مشاعر الحب، والفخر، والانتماء لتلك الأماكن.

خامسا . المكان والرثاء :

الرثاء غرض شعري قديم النشأة، استخدمه الشعراء للتعبير عما يختلج في صدورهم من حزن، ولوعة، وتفجع، وأسى، وهو «البكاء على شيء مفقود وعزيز على الإنسان سواء أكان مكانا أو إنسانا».[2]

لقد استطاع الشاعر العربي القديم أن يبرز المكان من خلال ظاهرة الطلل، واستدامة

(*)- بدر : ماء بين مكة و المدينة أسفل وادي الصفراء بينه و بين الجار ، يقال إنه ينسب إلى بدر ابن يخلد بن النظر بن كنانة و بهذا الماء كانت الوقعة المشهورة .

(1)– المصدر السابق ، ص 113. إباراتنا : إهلاكنا . شاراة القوم : أشرافهم .

(2) - محمد عبيد صالح السبهاني، المكان في الشعر الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ص 88.

فعل البكاء حين يقف عليه أو يتذكره، فتمتلئ نفسه بالحزن والشجن، حزن على ما مضى وشجن على من فارق.

فرمز الطلل إلى جانب صورته الظاهرة في الواقع شكل من أشكال الفناء الذي يهدد الحب واستمرار الحياة، وقد جسد شعراء الجاهلية ذلك الإحساس الخفي بالعلاقة بين الحياة وبين الموت، وتعد مقدمات الأطلال تجسيدا لهذا الصراع الأبدي من نفس الإنسان وفي الحياة من حوله.[1]

من هذا المنطلق كان المكان مستودعا للذكريات التي تؤجج مشاعر الشاعر، فرثي تلك الأماكن بصوت مؤلم يقول "حسان" :[2]

ألمْ تَذَرِ العيْنُ تَسْهَادَهَا وجَرْيَ الدُّمُوعِ وإنْفادَهَا

تَذَكَّرُ شَعْثَاءَ بَعْدَ الكَرَى ومُلْقَى عِراصٍ وأَوتَادَهَا

فهذا البكاء مرده إلى ولوع النفس بتلك الديار، وذكر الأحبة.

أما في عصر صدر الإسلام، فقد اختلفت رؤية الشاعر للمكان، فوقف على الأمكنة المقدسة، وديار "الرسول"(صلى الله عليه وسلم)، وديار"الصحابة"، إنها ليست آثار الجاهلية وأطلال الحبيبة، فيذكر الديار، ويبكي الآثار.

يقول "حسان بن ثابت" في رثاء "عثمان بن عفان" (رضي الله عنهما) مسترفدا الدار التي كانت محل خير وذكر وحسب، باكيا المصير الذي آلت إليه بعد موته:[3]

إنْ تُمْسِ دارُ ابنِ أرْوَى مِنْهُ خَالِيَةً بابٌ صَرِيعٌ وبابٌ مُخرَقٌ خَرِبُ

(1) - عزالدين اسماعيل ، روح العصر ، ط1 ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، 1972 م ، ص 22.
(2)– حسان بن ثابت ، الديوان ، ص 87. ألم تذر : ألم تترك. التسهاد : الأرق. تذكر : حذف إحدى التأدين . شعثاء: حبيبته أو زوجته . الكرى : النعاس.
(3)– المصدر نفسه ، ص 27. أروى : هي والدة عثمان بن عفان (رضي الله عنها) . و الباب الصريع : المطروح .

فقدْ يُصادِفُ باغِي الخيرِ حَاجَتَهُ فيهَا ويَأْوَى إلَيْها الذِّكْرُ والحَسَبُ

إنه تعبير عن خلجات نفس رأت بأم عينها ما آلت إليه تلك الدار.[1]

ومن هذه المعاني ما قاله في بكائه «نفيع»، و«رافع»، و«سعد»:

تَذَكَّرْتُ عَصْرًا قد مضَى فَتَهَافَتَتْ بَناتُ الحَشَا وَانْهَلَّ مِنِّي المَدامِعُ

صَبَابَـةَ وَجْدٍ ذَكَّرْتَنِي أَحِبَّـةً وَقَتْلَى مَضَوْا فِيهِمْ نُفَيْعٌ وَرَافِـعُ

وَسَعْدٌ فَأَضْحَوْا في الجِنَانِ وَأَوْحَشَتْ مَنَازِلُهُمْ والأرضُ مِنْهُمْ بَلاَقِـعُ

وقد ذهب "حسان بن ثابت" إلى نفس المعنى كذلك في رثائه لـ "حمزة بن عبد المطلب" في قوله:[2]

أَظْلَمَتِ الأرضُ لِفُقْدَانِـهِ وَاسْوَدَّ نُورُ القَمَرِ النَّاصِلِ

صَلَّى عَليكَ اللهُ فِي جَنَّـةٍ عَالِيَةٍ مُكْرَمَةِ الدَاخِـلِ

وأكثر ما أثار الشجون وهز النفوس موت "الرسول" الكريم(صلى الله عليه وسلم) فوقف "حسان بن ثابت" على طلل قبره يذرف الدموع، ثم يباركه ويبارك البلاد الذي ثوى فيها واللحد الذي ضمه، فقد اكتسب هذا القبر طهرا وبركة وفضلا بضمه "الرسول"(صلى الله عليه وسلم)،

من هنا جاء الفعل المبني للمجهول «بوركت» ثلاث مرات في بيتين متتالين في قوله:[3]

أطالَتْ وقُوفًا تَذرِفُ العَيْنُ جُهدَها عَلَى طَلَلِ القَبْرِ الذي فيهِ أَحْمَدُ

(1)– المصدر السابق ، ص 155. تهافتت الهموم : جاءت متتابعة. و نبات الحشا: كناية عن الهموم و المتعب و الوساوس
الأرض البلقع: المقفرة
(2) - المصدر نفسه ، ص 195. الناصل : الخارج.
(3)– المصدر نفسه ، ص 61.

فَبُورِكْتَ يا قَبرَ الرَّسُولِ وبورِكَتْ بِلادٌ ثَوى فيهَا الرَّشيدُ المُسَدَّدُ

وبورِكَ لحدُ منكَ ضُمِّنَ طيِّبَا عليهِ بِنَاءٌ منْ صفيحٍ مُنَضَّدِ

لقد أثارت هذه الأماكن شجون الشاعر، وحركت مكامن نفسه، تعبيرا منه عن حسرة عميقة على فقدان "الرسول" (صلى الله عليه وسلم).

كما بكى "حسان" الأماكن التي كان يعمرها(صلى الله عليه وسلم) واصفا ما آلت إليه حيث يقول:[1]

وأمْسَتْ بلادُ الحَرْمِ وَحْشًا بِقاعُهَا لِغَيْبَةِ مَا كانتْ منَ الوَحيِ تَعْهَدُ

قِفارًا سِوى معمورَةِ اللَّحْدِ ضافَهَا فَقيدٌ يُبَكِّيهِ بِلاطٌ و غَرْقَـدُ

وَمَسْجِدُهُ فَالمُوحِشاتُ لفقـدِهِ خَلاَءٌ لهُ فِيهِ مَقـامٌ ومَقْعَـدُ

وبالجَمْرَةِ الكُبْرى لهُ ثمَّ أوْحَشَتْ دِيَارٌ وعَرَصاتٌ ورُبْعٌ وَمَولِـدُ

فهو يبكي و يتأسف على ما أصاب هذه الأماكن بعد موت "النبي الكريم" (صلى الله عليه وسلم)، إذا أمست مكة وما اتصل بها من بلاد الحرم موحشة بقاعها، لانقطاع ما عهدت من الوحي، وأقفرت لخلوها من نوره (صلى الله عليه وسلم) ماعدا اللحد، ومسجده فالموحشات من البقاع لفقده كان له فيها قيام و قعود، وكذلك بالجمرة الكبرى في منى أقفرت ديار وساحات ومواضع لفقده (عليه الصلاة والسلام)، فالتركيز على هذه الأماكن أعطاها خصوصية و عمقا في نفسية الشاعر، وولوعه بها مرده إلى ولوعه بالحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم).

المسدد : ذو السداد ، القاصد إلى الحق ، الصفيد المنضدد : الحجارة الرقيقة المتراكمة .

(1)– المصدر السابق : ص 63. بلاد الحرم : كناية عن مكة المكرمة .

لقد ارتبط المكان عند "حسان بن ثابت" بالرثاء، عندما شعر بافتقاده، وزوال ما كان فيه من خير، وعز، ووجاهة لسبب من الأسباب، وبذلك استطاع أن يرثي تلك الأماكن والديار بأسلوب شجي ومؤثر، وعاطفة صادقة، وحس مرهف.

سادسا– المكان والهجاء:

الهجاء من الأغراض الشعرية الرئيسة لكثرة الأسباب الداعية إليه، فقد كان سلاحا لسانيا تستعمله القبيلة لمواجهة خصومها، وهو عكس المدح ومعناه «التشهير بالرذائل وفضح معايب الفرد والجماعة على حد سواء».[1]

فالهجاء إظهار للجانب السلبي من أخلاق الإنسان، والتي تتنافى مع مكارم الأخلاق المعروفة. وقد التصقت هذه الرذائل بالمكان فهجاه الشعراء.

ويبدو أن "حسان" قد اتخذ من صفات "ربيعة بن الحارث" و "نوفل" صفات للمكان حين هجاهما قائلا:[2]

إنَّ الخِيانَةَ والمَغَالَةَ والخَنَا واللُّؤْمَ أصبَحَ ثاويًا بِالأَبْطَحِ

قومٌ إذا نَطَقَ الخَنا نادِيَهُمْ تُبِعَ الخَنَا و أُضيعَ أَمْرُ المُصْلِحِ

واضح أن المكان (البطحاء) اكتسب هذه الصفات الرذيلة من "خيانة"، و"فحش" و"وشاية"، وبخاصة الفحش الذي أصبح سيد مجلسهم من صفات "ربيعة" وأخوه "نوفل" ومن ثم فإن موقف الشاعر من المكان مرتبط بموقفه من صاحب المكان.

ونلفي"حسان" في موقف آخر، يدعي على منزل "عبد الدار" « بكوثة»

(1)– زبير دراقي، المفيد الغالي في الأدب الجاهلي ، ص 82.
(2)– حسان بن ثابت، الديوان ، 51. المغالة : الرقابة. الحتا : الفحش في الكلام . أصبح ثاويا: أي مقيما . الأبطح : جمع بطحاء و هي أرض بمكة . النادي : المجلس.

ويتمنى له الفقر والافتقار لاحتوائه اللؤم، والجهل، وسوء الخلق في قوله:[1]

لَعَنَ اللهُ مَنْزِلاً بَطْنَ كُوثَـى ورَماهُ بالفَقْرِ والإمْعَارِ

ليسَ كُوثَى العِراقِ أعْنِي ولَكِنْ كوثَةَ الدَّارِ دَارِ عبدِ الدَّارِ

حَوَتِ اللُّؤْمَ والسَفَاهَ جميعًا فاحْتَوَتْ ذاكَ كُلَّهُ في قَرَارِ

وإذا مَا سَمَتْ قُريشٌ لِمجْـدِ خَلَّفَتْهَا في دَارِهَا بِصَغارِ

فهو يجعل من تلك الدار ذليلة أمام باقي الديار.

ويطالعنا "حسان" بقصيدة يهجو فيها "هذيلا"، طالبا من الذي يعجبه الغدر الخالص أن يأتي الرجيع مكان الغدر ونقص العهد، ويسأل عن دار لحيان حيث يقول:[2]

إنْ سَرَّكَ الغَدْرُ صَرفًا لا مَزاجَ لهُ فأْتِ الرَّجيعَ وسَلْ عنْ دارْ لِحْيانِ

قومٌ تواصَوْا بأَكْلِ الجارِ كَلِّهِمُ فَخَيْرُهُمْ رَجُلاً والتِّيسُ مِثْـلانِ

إن هذين البيتين يكشفان عن وضع الشاعر النفسي، من خلال الظروف التي أحاطت به، والتي جعلته حاقدا على هذا المكان الرجيع. ومتذمرا منه كل التذمر.

وكرر"حسان" معاني هذه القصيدة مرة أخرى ليخلد صفة الغدر واللؤم بهذا المكان الرجيع. ويلصقهما به على مر الأزمان حين قال:[3]

ولَكِنَّ الرَّجِيعَ لَهُمْ مَحَلٌ بهِ اللُّؤْمُ المُبِينُ والعُيُوبُ

هُمْ غَرُّوا بِذِمَّتِهِمْ خُبَيْبًا فَبِئْسَ العَهْدُ عَهْدُهُمُ الكَذُوبُ

---

(1)– المصدر السابق ، ص 137. كوثي : و هو منزل بني عبد الدار خاصة تم قلب على الجميع . و كوثي أيضا : موضع بسواد العراق في أرض بابل . الأمعار : الافتقار. السفاه: الجهل و رداءة الحلق. السفية : عديم الجلم . الصغار : الذل .

الرجيع . هو الموضع الذي غدرت فيه فضل و القارة بالسبعة نفرا لذين بعثهم رسول الله (صلى الله عليه و سلم) معهم منهم : عاصم بن ثابت حتى الدبرة، و خبيب بن عدي ، مرشد بن أبي مرثد العتوي . و قال ابن اسحاق و الواقدي: مرجع ماء لهذيل قرب لهدأة بين مكة و الطائد.

(2)– المصدر نفسه ، ص 40.

(3) – المصدر نفسه ، ص 40 .

ولا يخرج "حسان" عن هذا الأسلوب، والنمط الشعري اللاذع في هجائه لـ«هوازن بن منصور» حيث حرص على إبلاغها بما فيها من رذائل. ثم لجأ إلى ذكر شر أماكنها . حواضرها وبواديها. قائلا:[1]

أَبْلِغْ هَوَازِنَ أَعْلاهَا وأَسْفَلَهَـا أنْ لَسْتُ هَاجيهَا إلاَّ بِمَا فِيهَا

قَبِيلَةُ الأَمُ الأَحْيَاءُ أَكْرَمُهَـا وأَغْدَرُ الناسِ بالجِيرانِ وَافِيهَا

وَشَرٌّ منْ يَحْضُرالأَمْصارَ حاضِرُهَا وشرٌّ بَادوئيَةُ الأعْرابِ بَادِيهَا

إن الثنائية (أعلاها / أسفلها) تتحول من كونها وصفا للمكان لتعبر عن قيم اجتماعية تتعلق بمكانة الفرد في القبيلة .

أعلاها /أسفلها = كبير القوم / صغيرهم

سراة القوم / العاديين

فالمكان هو«الإحداثية التي تدرك من خلال الحواس وعلى رأسها البصر ينظم العلاقات البشرية».[2]

تجاوز"حسان" في هجائه للمكان تحذير الإنسان منه، إلى تحذير الحيوان، محاولا إيجاد طريقة يمنع بها الحيوانات التي ترعى في بقاع «بني الحماس» من فعل ذلك، وخوفه عليها من هذه الأوطان الخبيثة إذ يقول:[3]

أَبَنِي الحِمَاسِ فَمَا أَقُولُ لِتَلَّةٍ تَرْعَى البِقَاعَ خَبِيثَةَ الأَوْطانَ

فالشاعر يومئ إلى أن أرض «بني الحماس» لا يطيب فيها المقام.

(1)– المصدر السابق ، ص 254.
(2)– جماعة من الباحثين ، جماليات المكان ، ص 65.
(3)– حسان بن ثابت ، الديوان ، ص 250. لثة . بالفتح : القطيع من الغنم . و الثلة ، بالضم : جماعة من الناس.

وخلاصة القول: إن "حسان" كان ينطلق من الرذائل التي يتصف بها الإنسان، ويجعل منها معادلا كفوءً للمكان، فتمثل هذا الأخير هذه الرذائل: الغدر والخبث، والشر،والخيانة واللؤم، والسفاهة، فأصبح صورة لأهله.

من كل ما تقدم نستخلص أن المكان تشكل مع أغراض الغزل ، و المديح

و الوصف و الفخر ، و الرثاء ، و الهجاء ، حيث ربط " حسان" من خلال المكان بين النص الشعري و بين الممدوح ، و هكذا مع مقدمات القصائد الغزلية ، قصائد الفخر

و الوصف ، و الرثاء و الهجاء ، و كل هذه الارتباطات لها علاقة بالمكان ، أو أحد أنماطه أو مدلولاته.

الفصــل الثانــي

صور المكان ودلالاته

أولا . المكان(الطلل)

ثانيا . المدينة

ثالثا . الأماكن الطبيعية

رابعا . الأماكن المقدسة

خامسا . المكان الحلم (الأعلى)

سادسا . المكان القبر (الأسفل)

سابعا . الأمكنة الحربية

تمهيد:

في دراسة المكان توجد حقيقة هامة لمن يريد الغوص في أعماق النفس هي (الإنسان/المكان)، وقد شكلت هذه الحقيقة مجموعة من العلاقات التي تتفاعل فيما بينها في أعماق الذات الإنسانية التي تعيش الأحداث اليومية على أرض الواقع.[1]

« ولما كان الشعر العربي، شعر مكاني في ارتباطه بالبيئة التي أنتجته، والإنسان الذي أبدعه[)]، كان لزاما على الدرس الأدبي أن يلتفت إلى المكان فيه، نظرة لا تحكمها التابعية فتحصر هَمَّ المكان في بعض المظاهر الثانوية، أو تتخطاه لمجرد ذكره بعبارات اهترأت استعمالاتها، وخوت دلالتها وصدأت جدتها. بل التنقيب في عمق العلاقات التي ينشئها المكان بينه وبين مختلف المعاني، والعادات القولية، والفعلية، والأخلاق، والسلوك. ما دامت الغنائية في الشعر العربي إنما تتأسس على اهتمام فردي في المقام الأول، ثم تنفتح لعديد من العلاقات الأخرى».[2]

فالمكان في الشعر العربي القديم اكتسب أهميته، ودلالاته، وإيحاءاته نتيجة ظروف عاشها الشعراء، عمقت إحساسهم بالمكان وأظهرت حقيقته.

أولا . المكان (الطلل):

يعتبر الشعر الجاهلي من الأشعار التي حفلت بالمكان، متجليا في الوقوف على الطلل كمعيار للجودة، كما يعتبر المجال الوحيد لذكر الأماكن التي تلهم الشاعر «عندما يفتتح سفر الشعر العربي، تقف الأطلال في وجه القارئ شامخة على مطلع القصائد، وكأنها السمة التي يعرف بها الشعر العربي الجيد المكتمل على مر العصور. وكأن القصيدة الخالية

(1)- ينظر : ساهرة عليوي حسين العامري ، المكان في شعر ابن زيدون ، (رسالة ماجستير) ، جامعة بابل ، اشراف هناء جواد عبد السادة ، 2008 م ص 24.

(2) – حبيب مونسي ، فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية ، (د ت) ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر ، 2011 ، ص ص 4 ، 5 .

من الطلل قصيدة ناقصة مبتورة، أو هي قصيدة لم تنل من النضج والاكتمال حظها الأوفر».[1]

وقد أجمع أغلب الدارسين أن المقدمات الطللية تختزن الماضي البعيد المناقض للحاضر المرفوض، فتلك المطالع الطللية تحتفل بنوعين من الأمكنة، يمكن التعبير عنها بالمخطط الآتي:[2]

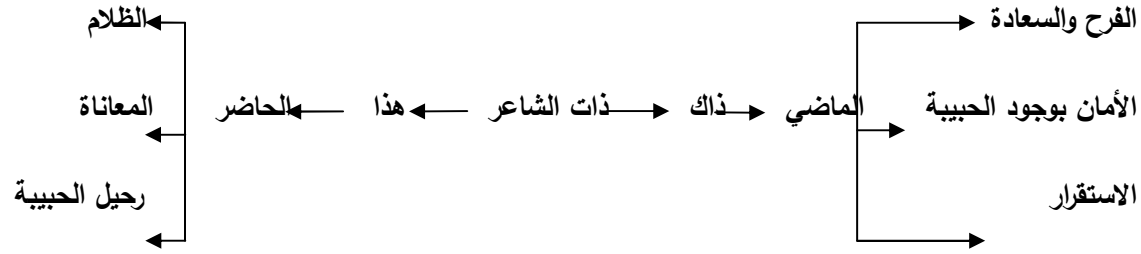

يمكن التعامل مع هذين المكانين(هذا– ذاك) من خلال ثنائيات تجسد صورة المكان هي: ثنائية الحاضر/ الماضي، وثنائية الانقطاع/ الاتصال، وثنائية الجدب/ الخصب.

1–1– الطلل وثنائية الحاضر/الماضي:

تمثل هذه الثنائية الصراع القائم بين الماضي والحاضر، الماضي الذي يمثل المكان الأمثل، مكان الفرح والسعادة والاستقرار بوجود الحبيبة، والحاضر الذي يمثل المكان المؤلم، الذي تتوقف فيه الذكريات برحيل الحبيبة، وتهدُّم المشاعر، وكمثال لهذه الثنائية قول " حسان":[3]

أَهَاجَكَ بِالبَيْداءِ رَسْمُ المَنـازِلِ نَعَمْ قَدْ عَفاهَا كُلُّ أَسْحَمَ هَاطِلِ

وَجَرَّتْ عَلَيهَا الرَّامِساتُ ذُيُولَهَا فَلَمْ يبقَ مِنهَا غيرَ أَشْعَثَ مَائِلِ

(1)– المرجع السابق ، ص 15.
(2)– حسين علي الدخيلي ، الفضاء الشعري عند الشعراء اللصوص في العصرين الجاهلي و الإسلامي ، ط1 ، دار الحامد للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن 2010 م ، ص 128.
(3)– حسان بن ثابت ، الديوان ، ص 186 . الأسحم : السحاب الأسود . الرامسات : الرياح التي تدفن رسم المنازل بما تثيره من تراب. الأشعث: الوتد .

دِيَارُ الَّتِي راقَ الفُؤادَ دَلاَلُهَا وَعَزَّ عَلينَا أنْ تَجودَ بنَائِلِ

يطالعنا "حسان" في هذا المقطع بنفس مشتاقة وهذا ما دل عليه الفعل (أهاجك)، ومن خلال لحظة المحاورة تلك يحاول الشاعر أن يوقف الزمن قليلا، كي يعيش ماضيا مضى، فيمحو المكان الماثل للعين . المكان الحاضر. كي يجئ مكان الماضي منزل الحبيبة ولحظات السعادة والأمل، لكن منزلها هجر، تحول إلى رسم دارس بعد أن كان سكنا، وفي هذا دلالة قدمها الشاعر في قوله: أهاجك بالبيداء رسم المنازل، ليبين من خلاله حال منزل الحبيبة قبل رحيلها عندما كان سكنا، والذي أصبح رسما بعد رحيلها «هذا التجاوز يتم على مستوى الذاكرة فقط لذلك لن يدوم لأن ما هو ماثل للعين أكثر فعالية مما هو ماثل في الذاكرة».[1] لذا ذهب يبين كيف أسهمت الأمطار والظروف الطبيعية الأخرى على إندراسه واندثاره، ولعل إيمان الشاعر بهذه الظروف وفعلها هو الذي جعله يذكر الفعل(عفا) مع هذه العوامل الطبيعية.مما تقدم يتبين أن الحاضر والماضي يحكمان المكان، فيصبح مع(هذا) مكانا مخيفا مخرَّبا خاليا من الذكريات، ومع (ذاك) مكانا مليئا بالسعادة والأمان وتنتهي هذه الجدلية لصالح الحاضر على الماضي، لأن ما هو ماثل للعيان أكثر مما هو ماثل في الذاكرة.

2-1- الطلل وثنائية الانقطاع/الاتصال:

في المقدمات الطللية يتصارع الحاضر المؤلم والماضي الجميل، هذا الصراع يولد بطبعه ثنائية أخرى تتلخص بانقطاع الحاضر المؤلم، والرغبة في الاتصال بالماضي السعيد.[2] وصدى هذا الانقطاع يتمثل في مقاطع الطلل على شكل محاولة المخاطب استنطاق المكان، بينما يبقى هذا الأخير أخرسا لا يجيب ولن يجيب، ونأخذ كنموذج لهذه

النائل : العطاء .

(1)– فتيحة كحلوش ، بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري ، ط 1 ، الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان، 2008م ص 71.

(2)– ينظر: حسين علي الدخيلي ، الفضاء الشعري عند الشعراء اللصوص في العصرين الجاهلي و الإسلامي ص 131.

الثنائية قول "حسان":[1]

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ الجَديدَ التَّكَلُّمَا بِمَدفَعِ أَشْدَاخٍ فَيُرْقَةِ أَظْلَمَـا

أَبَى رَسْمُ دَارِ الحَيِّ أَنْ يَتَكَلَّمَا وَهَلْ يَنْطِقُ المَعْروفَ مَنْ كانَ أَبْكَمَا

بِقاعُ نَقيعِ الجَزْعِ مِنْ بَطْنِ يَلْبَنٍ تَحَمَّلَ مِنْـهُ أَهْلُـهُ فَتَتَهَّمَـا

يزخر هذا المقطع بأسماء الأماكن، لكنها أماكن سلبية بالنسبة للشاعر، لأنها خالية من ساكنيها، وتفتقر إلى الحياة، فيحاول الشاعر أن يستنطقها، لكن المكان الجديد (مكان الحاضر) لا يجيب، ففي مقابل حيوية الشاعر ومحاولة بثّه الأمل في نفسه من خلال محاورة الطلل الذي يدل على حياته وإحيائه، نجد الصمت وعدم الرد من قبل الطلل، يؤكد هذا ما دل عليه هذا الشطر: وهل ينطق بالمعروف من كان أبكما. أي لم تعد هناك إمكانية واستعداد من قبل الطلل للتواصل مع الشاعر.

وعلى العموم هذا ما يوجد في معظم المقاطع الطللية، إذ يظهر الطلل منغلقا، وتظهر علاقة الشاعر معه علاقة عدوانية تفتقر إلى الحوار والحيوية، لأنه لم يتمكن من الإجابة فتؤول محاولة فتحه إلى الفشل.

3-1- الطلل وثنائية الجدب/الخصب:

يرتبط المكان في قصائد الشعراء القدامى أيضا بثنائية الجدب / الخصب، وهي ثنائية منبثقة من طبيعة الحياة التي يحيونها، والتي تحتم على ساكنيها الانتقال من مكان إلى آخر بحثا عن الكلأ والماء. لكن الشاعر بوقوفه على الطلل كان يعاني في واقع الأمر من موقفين:

(1)– حسان بن ثابت ، الديوان ، ص ص 216 ، 217.

«الموقف الأول: هو الشكوى من افتقاد الزمان والمكان الذي تسبب فيهما رحيل الحبيبة والذي كان بدوره نتيجة للجفاف».[1]

وفي هذا المعنى يقول"حسان": [2]

بَانَتْ لَميسُ بِحَبلٍ مِنْكَ أَقْطَـاعِ واحْتَلَّتِ الغَمْرَ نَزْعًا ذاتَ أشْرَاعِ

وأَصْبَحَتْ في بَنِي نَصْرٍ مُجَاوِرَةً تَرْعَى الأَباطِحَ في عِزٍّ وإمْرَاعِ

لقد كان رحيل الحبيبة(لميس) إلى مكان خصب يتوفر على أسباب العيش، نتيجة الجفاف الطبيعي الذي أصاب مكان إقامتهم الأول.

أما الموقف الثاني فيتمثل «بما يمكن أن نطلق عليه(الجفاف النفسي) ويتمثل بارتحال الحبيبة وبعدها عن مكان الشاعر، فيظل الشاعر ظمآنا لرؤيتها ومحادثتها ولذكرياتها كذلك».[3] ولعل حرص الشاعر على بقاء أطلال الحبيبة وذكرياتها، جعله ينوه بعلامات الخلود، إذ تعمر الأطلال بعد مغادرة الأحبة لها بأسراب الحيوان. ونلتمس مثل هذه الرؤية في قول"حسان":[4]

وَحَجَّلَ في الدَّارِ غُرْبانُهَا وَخَفَّ مِنَ الدَّارِ سُكَّانُهَا

مَهاةٌ مِنَ العَينِ تَمشِي بِهَا وتَتْبَعُهَا ثُمَّ غِزْلاَنُهَـا

فهذه الصورة التي جعلت أطلال الحبيبة تعمر بالأنس، من خلال الغربان التي حجلت فيها، ومهاة العين التي تمشي بها، والغزلان التي تتبعها. فكل هذا يشير إلى وهج الحياة في

(1)– فتيحة كحلوش ، بلاغة المكان ، ص 74.
(2)- حسان بن ثابت ، الديوان، ص 155.
(3)– حسين علي الدخيلي ، الفضاء الشعري عند الشعراء اللصوص في العصرين الجاهلي و الإسلامي ص ص 132.، 133.
(4)– حسان بن ثابت ، الديوان ، ص 251.

هذه الأطلال بعد رحيل الإنسان لسبب من الأسباب، وبذلك يتحول الطلل إلى مكان يحضن مجتمعا حيوانيا.[1]

وعلى العموم فثنائية الجدب/ الخصب في قصائد "حسان" تجعل من الأطلال الخالية التي غادرها قاطنوها لجدبها، وانعدام العيش فيها لسبب من الأسباب عامرة مأهولة ولو بعد حين.

ثانيا– المدينة:

«المدينة حيز مكاني لها حدود هندسية، ولها دلالات رمزية واسعة، ضمت من خلال التوظيف الرمزي الفاعل لها».[2]

أما المدلول الذي وضعه الإسلاميون لتعريفها هو: «أنها البلد الذي يكون فيه منبر أي مسجد، وهذا التعليل ربما يعود إلى تسمية يثرب بالمدينة من قبل "الرسول"(صلى الله عليه وسلم) بعد الهجرة إليها، وقد عرفنا أن أول عمل قام به عند وصوله إلى المكان أنه أقام مسجدا، وأوضحت المدينة بعد ذلك المكان الذي تقام فيه الصلاة ويطبق فيه العدل ويسوده الأمن والطمأنينة».[3]

وقد ورد لفظ المدينة في القرآن الكريم 14 مرة.

من خلال هذين التعريفين تبدو المدينة مكانا ملموسا، له دلالات رمزية واسعة. كما أنها كل مكان يكون فيه مسجد، وهي المكان الذي يسود فيه العدل والأمن لكونها مقر السلطة الحاكمة أو من يمثلها.

(1)– ينظر : باديس فوغالي ، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي ، ص 215.
(2)– ساهرة عليوي حسين العامري ، المكان في شعر بان زيدون ، ص 37.
(3)– زينب بوصبيعة ، المدينة في الشعر الأندلسي ، (أطروحة دكتوراه) ، جامعة الأمير عبد القادر ، إشراف الربعي بن سلامة ، 2006م ص 6.

"فحسان" ولد "بيثرب" وعاش فيها، كما ألمَّ بمدن الغساسنة والمناذرة، فكتب عنها وكانت المدينة قرينة الوطن والأرض والبلد، فتجسدت العلاقة القائمة بين الشاعر والمكان(المدينة) وهي علاقة روحية نابعة من أعماق الذات.

وقد أبدى "حسان" تمسكه بمدينة "يثرب" –صراحة– وتلاحم أفرادها في ظل الانسجام والولاء، والإشادة إلى ما يوفرونه لها من رخاء واستقرار وأمان، قائلا:[1]

وَيَثْرِبُ تَعْلَمُ أنَّـا بِهَـا إذَا الْتَبَسَ الأَمْرُ مِيزَانُهَـا

وَيَثْرِبُ تَعْلَمُ أنَّـا بِهَـا إذَا قَحَطَ القَطْرُ نَوْآنُهَـا

وَيَثْرِبُ تَعْلَمُ أنّـا بهَـا إذَا خافَتِ الأَوْسَ جِيرَانُهَـا

وَيَثْرِبُ تَعْلَمُ أنَّ النَّبِيـ ـتَ عِنْدَ الهَزَاهِزِ ذُلاَّنُهَـا

مَتَى تَرَانَا الأَوْسُ في بِيضِنَا نَهُزِّ القَنَا تَخْبُ نِيرَانُهَـا

وَتُعْطِ القِيَادَ على رَغْمِهَا وَيَنْزِلُ مِنَ اَلْهامِ عِصْيانُهَـا

اعتمد الشاعر على التكرار اللفظي لـ"يثرب"(المدينة) بشكل مكثف وملفت للنظر، مما زاد من عذوبة الأداء الشعري والجمال الموسيقي، "فحسان" لم يلجأ إلى ظاهرة التكرار اعتباطا، وإنما اعتمدها لمالها من أثر ووقع في الأذن وفي النفس.

ويذهب "حسان" إلى المعاني ذاتها، يقول:[2]

سَأُوتِي العَشِيرَةَ مَا حَاوَلَتْ إلَـيَّ وَأُكْذِبُ إيعَادَهَا

وَأَحْمِلُ إنْ مَغْرَمٌ نَابَهَا وَأَضْرِبُ بالسَّيْفِ مَنْ كَادَهَا

(1)– حسان بن ثابت ، الديوان ، ص 248.

(2)– المصدر نفسه ، ص 87. سأوتي العشيرة : سأعطيها ما تريد . أكذب إيعادها : أكذب الذي يوعدها و لا يلبي و لا يصدق .

وَيَثْرِبُ تَعْلَمُ أنَّـا بِهَـا أُسُودٌ تُنَفِّضُ أَلْبَادَهَـا

نَـهُزُّ القَنَـا في صُدُورِ الكُمَا ةِ حتَّى نُكَسِّرَ أَعْوَادَهَـا

وتبقى يثرب بؤرة الحدث، ومركز الإشعاع في هذه النصوص الشعرية.

ويزداد تعلق "حسان" بالمدينة؛ لاعتقاده أنها مباركة، فطيبة – الاسم الذي أطلقه الرسول(صلى الله عليه وسلم) على يثرب– وهو حي– كما احتضنته ميِّتا، وفيها من معالم الإسلام آثار كثيرة، يقول:[1]

بِطِيبَةَ رَسْمٌ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ مُنيرٌ وَقَدْ تَعْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمَدُ

كما تنصرف دلالات المدن والأقاليم في الشعر إلى الناس، فهي تأخذ صفات أصحابها، وتعكس البعد السياسي والاجتماعي للمكان، وتصبح صورة للشخصية الحاكمة فيها، والمتميزة من سواها، كقول "حسان":[2]

وَكُنَّا مُلُوكَ النَّاسِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ فَلَمَّا أتَى الإسْلامُ كَانَ لَنَا الفَضْلُ

ففي نطاق وسائل التعبير عن المكان الحضري(المدينة)، تبرز دلالات السيادة. فامتلاك المكان وفرض قبضة اليد عليه، هو امتلاك للجاه والسلطان، لأن قوة الإنسان مستمدة من قوة هيمنته على المكان.

مما تقدم، نستخلص أن المدينة احتلت مكانة لا يستهان بها في قلب "حسان بن ثابت"

فقد برزت في شعره بشكل مختلف عما هي عليه عند كثير من الشعراء كما عدها بعض الدارسين من الأماكن المعادية(غير الأليفة)، في حين كان موقف "حسان" منها القبول وبدت

أحمل إن مغرب نابها : أتحمل العزم أو الدية عنها . من كادها : من ساءها .الألباد : لبدة الأسد الشعر المتجمع بين كتفيه.
(1)– المصدر السابق ، ص 60.
(2)– المصدر نفسه ، ص 193. كان لنا الفضل : إن فضلنا بإيوائه (صلى الله عليه و سلم) .

صورتها في شعره نموذجا دلاليا امتزجت فيه العلاقات الإنسانية المختلفة. هذا الموقف من المدينة لم يتغير سواء في العصر الجاهلي أو الإسلامي.

ثالثا. الأماكن الطبيعية:

إن المكان الطبيعي يتجسد في مظاهر تكوينه التي «تتسم بالسعة والامتداد والارتفاع والانبساط والشدة، مثل: الأرض، البوادي، الجبال، الوديان، السهول، وما يماثل ذلك من

البحار والأنهار. إن الشاعر يرتقي بهذا العالم الطبيعي إلى مصاف الجمال في الصورة ويجعله كيانا حسيا يزخر بالحركة، واللون والتكرار، وهو معين ثر للرمز والتشخيص».[1]

1.1 الصحراء:

هي المكان اللامتناهي الخالي من الناس، والصحراء نفسها في الواقع نفسها في الشعر، لذلك فإن أحسن الشاعر رسمها ووصفها، فيمكن أن تصبح عالما كبيرا منفتحا على دلالات كثيرة.[2]

فإذا كانت الصحراء رمزا مكانيا للجفاف والجدب والقسوة، وارتباط هذه المعاني في مخيلة الإنسان، فهي تعبر في الوقت ذاته على تحدي الإنسان وقدرته على اجتياز مسالكها المبهمة التي تحتضن الموت والهلاك في كل شكل من لأشكالها، ولكنها عند "حسان" تمثل التحدي والشجاعة لذا أطلق عليها(خرق). والخرق يعني المفازة لأن عبورها واجتيازه مهالكها بعد فوزا[3]،حيث يقول: [4]

(1)– حيدر لازم مطلك ، الزمان و المكان في شعر أبي الطيب المتنبي ، ط 1 ، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان الأردن ، 1431ه- 2010 م ، ص 156.
(2)– ينظر: جماعة من الباحثين ، جماليات المكان ، ص 61.
(3)– ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، ج 10 ، ص 333.
(4)– حسان بن ثابت ، الديوان، ص 144.

رُبَّ خَرْقٍ أَجَزْتُ مَلْعَبَةَ الجِنِّ وَمَعِي صَارِمُ الحَديدِ إباطِي

فَوْقَ مَسْتَنْزِلِ الرَّديفِ مُنِيفٍ مِثْلِ سَرْحَانِ غَابَةٍ وَخَّاطِ

ففوز الشاعر في هذه الأبيات يتحقق باجتياز مكان الجن بسلام، أما البعير الذي يرمي بالرديف فهو أداة الرحلة، وقد شبهه بالذئب السريع.

ومن هذه المعاني ما ذهب إليه "حسان" في وصف رحلته إلى الممدوح في قوله:[1]

وَاللَّيْلَةَ الظَّلْماءَ أُدْلِجُهَا بِالقَومِ في الدَّيْمُومَةِ القَفْرِ

يَنْعَى الصَّدَى فيهَا أَخَاه كَمَا يَنْعَى المُفَجَّعُ صَاحِبَ القَبْرِ

وَتَحُولُ دونَ الكَفِّ ظُلْمَتُهَا حتَّى تَشُقَّ عَلَى الَّذي يَسْرِي

وَلَقَدْ أَرَيْتُ الرَّكْبَ أَهْلَهُمُ وَهَدَيْتُهُمْ بِمَهَامَةٍ غُبْرِ

تغدو الصحراء في الرحلة إلى الممدوح عنصرا يمتلك تأثيرا مباشرا في تصوير شجاعة الشاعر، ويتمم معناها الزمن (الليل)، أما الناقة فهي أداة الرحلة .

من خلال ما تقدم من تتابع صور الصحراء، تغدو مكانا لامتناهٍ، ويقع في أشكالها: الخرق، القفر، الديمومة، المهامة، وعلى الرغم مما تعنيه هذه الألفاظ من قسوة ومهالك وجدب، إلا أنها كانت عند "حسان" رمزا للتحدي وإظهار الشجاعة.

الخرق: المفازة . ملعبة الجن : مكانا للعب الجن . مستنزل الرديف: البعير الذي يرمي بالرديف . المنيف: العالي : الذئب الوخاط : السريع .

(1) - المصدر السابق ، الديوان ، ص 105.

1.2. الجبال:

تمثل الجبال عند الشعراء منبعا ثرا يستقون منه معاني العلو، والثبات، والقوة والوقار، بالإضافة إلى كونها مظهرا من مظاهر الجمال في الطبيعة «ويقترن ذكر الجبال بغيرها من الأمكنة الطبيعية، توصلا إلى الاستقصاء في الوصف»[1]، وقد أشار الشعراء إلى مواضع الجبال، وأماكنها في حديثهم عن ديار أحبتهم، ومواضع سكانهم.

وقد ذكر"حسان" جبلي «سلع» و«أبرق العزاف» قائلا:[2]

لِمَنِ الدَّارُ وَالرُّسُـومُ العَوافِي بَيْنَ سَلْعٍ وأَبْرَقِ العَزَّافِ

وجبل«الثلج» الذي أشار إليه في قوله:[3]

مِنْ دُونِ بُصْرَى وَخَلْفَهَا جَبَلُ الثَّـ لْجِ عَلَيْهِ السَّحَابُ كَالقِدَدِ

كما ذكر الجبال مقترنة بحوادث معينة، تمثل الانتصار، أو الاندحار حين قال:[4]

إِذْ شَدَدْنَا شَدَّةً صَادِقَةً فَأَجَأْناكُمْ إِلَى سَفْحِ الجَبَـلْ

إِذْ تُوَلُّونَ علَى أَعْقابِكُمْ هَرَبًا فِي الشِّعْبِ أَشْبَاهَ الرَّسَـلْ

يذكر"حسان" بعض صفات جبل «أحد» وقد استغل صفاته وتضاريسه «ليجعل منها مسرحا مكانيا لوصف فرار أعدائه»[5]، فقد ألجأوهم إلى سفح الجبل منهزمين، هاربين في

(1)– حيدر لازم مطلك ، الزمان و المكان في شعر أبي الطيب المتنبي ، ص 157.
(2)– حسان بن ثابت ، الديوان ، ص 165.
(3)– المصدر نفسه ، 74. بصرى : قرية بالشام من أعمال دمشق. القدة: الفرقة من الناس .
(4)– المصدر نفسه ، ص 181. فأجأناكم : فألجأناكم . سفح الجبل : أسفله . الشعب: الطريق في الجبل. الرّسل: الإبل المرسلة جماعات.
(5)– حسين علي الدخيلي، الفضاء الشعري عند الشعراء اللصوص في العصرين الجاهلي و الإسلامي، ص 41.

الشعب ضياعا كالإبل المرسلة في إثر بعضها. ومن هذه المعاني قوله:[1]

فَعَدِمْتُ مَا وَلَدَ ابْنُ عَمْرٍو مُنْذِرٌ حتَّى يُنِيخَ جُمُوعَهُمْ بِصِرارِ

وقال أيضا:[2]

وَنَحْنُ جُنْدَكَ يَومَ النَّعْفِ مِنْ أُحُدٍ إِذْ حَزَّبَتْ بَطَرًا أَشْيَاعَهَا مُضَرُ

ومن المعاني الأخرى التي تناولها "حسان" و قرَنَها بالجبال، معاني الفخر والاعتزاز كقوله:[3]

لَنَا حَاضِرٌ فَعْمٌ وَبَـادٍ كَأَنَّهُ شَمَـارِيخُ رَضْوَى عِزَّةٌ وَتَكَرُّمَا

كان ارتقاء جبل «رضوى» من المفاخر، حيث يظهر شديد الارتفاع، لذلك شبه حسان حاضرهم المفعم بالأمجاد والفعال الحميدة، هذا الحاضر الذي كان امتدادا لماضيهم العريق، وليس من شيء أحسن من تشبيهه بأعالي جبل «رضوى» عزة وفضلا، بحيث لا يطاوله أحد من الناس.

ويطالعنا "حسان" بصورة في غاية الجمال، حاول من خلالها أن يخلق مقارنة بين جبلي «رضوى» و «يلملم» وبين حلم سراة قومه بقوله:[4]

وَلَوْ وُزِنَتْ رَضْوَى بِحِلْمِ سَرَاتِنَا لَمَـالَ بِرَضْوَى حِلْمُنَا وَيَلَمْلَمِ

جنح الشاعر إلى المبالغة وبشكل لافت للنظر، عندما جعل «رضوى» و«يلملم» تميلان إذا ما وضع عليهما حلم سراة قومه، وقد غلب على هذا البيت سهولة الألفاظ ووضوح المعاني.

(1)– حسان بن ثابت ، الديوان ، ص 111. عمرو و منذر : جدا حسان بن ثابت. صرار : إسم جبل .
(2)– المصدر نفسه ، ص 121. أحد: الجبل المعروف. نعف أحد: أسفله. حزبت مضر أشياعها بطر: جمعتهم على الباطل.
(3)– المصدر نفسه ، ص219. الفعم: الكثير . رضوى: جبل . شماريخ رضوى: أعاليه.
(4)– المصدر نفسه ، ص234. يلملم: جبل من الطائف. سراتنا: أشرافنا.

مما سبق يتبين أن للجبال مكانا بارزا في شعر"حسان"، فلم يكتف بوصف مشهدها الطبيعي الذي يراه متناولا الخصائص البارزة فيه من قمم، وشعاب وسفوح، وإنما تعدى ذلك مشاهد الخيال، فأصبحت تعبر عن قيمة معينة.

3-1- الكثبان:

شكلت الكثبان الرملية جبالا وألسنة رملية متناسقة عرفها الشعراء، فعلقت هذه الأشكال في أذهانهم واستمدوا منها صورهم، وعقدوا صلة بينها وبين ما يريدون التحدث عنه. فكما وجد الشعراء في الجبال أمكنة يذكرونها في أشعارهم، وجدوا كثبان الرمال أمكنة يقفون عندها.[1]

فقد ذكر"حسان" رملة «حومل» فقال: [2]

أَسَأَلْتَ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ بَيْنَ الجَوابِي فَالبَضيعِ فَحَوْمَلِ

كما ذكر«الكثبان» في قوله:[3]

جِمالُ شَعْثَاءَ قَدْ هَبَطْنَ مِنَ المَـ ـحْبَسِ بَيْنَ الكُثْبَانِ فالسَّنَدِ

يمكن القول إن أغلب ما ورد فيه ذكر الرمال في أشعار"حسان"، كان عند حديثه عن الأطلال، وكذلك أثناء حديثه عن ديار الإقامة، «وتخصيصهم ملتوى الرمل لأنهم كانوا لا ينزلون إلا في صلابة من الأرض ليكون ذلك أثبت لأوتاد الأبنية، وأمكن لحفر النؤى»[4].

(1)– ينظر : نوري حمودي القيسي ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ، ط1 ، الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت ، لبنان 1970م ، ص 37 .
(2)– حسان بن ثابت، الديوان ، ص 183.
(3)– المصدر نفسه، ص 74.
(4)– نوري حمودي القيسي ، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 28..

4-1- الوديان:

تمتاز الوديان بجمالها ودورها الكبير في حياة الإنسان، فهي تقوم بإرسال مياه الأمطار عند نزولها من منحدرات الجبال إلى الفيافي والأنهار، وكونها تشكل الأراضي الخصبة

التي تقيم حولها القبائل، وتعد من الأماكن الطبيعية التي ذكرها الشعراء في أشعارهم وكان ذكرها «يأتي في كثير من الأحيان مقترنا بذكر الأحبة، والاشتياق إلى ديارهم»[1].

كقول"حسان" في ذلك:[2]

أَتَعْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَسْمُهَا بَعْدَكَ صَوبَ المُسْبِلِ الهَاطِلِ

بَيْنَ السَّرَادِيحِ فَأُدْمَانَـةٍ فَمَدْفَعُ الرَّوْحاءِ في حَائِلِ

وفي قوله كذلك:[3]

دِيَارٌ لِشَعْثَاءَ الفُؤَادِ وَتِرْبِهَا لَيَالِي تَحْتَلُّ المُرَاضِ فَتَغْلَمَا

وَإِذْ هِيَّ حَوْراءُ المَدامِعِ تَرْتَعِي بِمُنْدَفَعِ الوَادِي آرَاكًا مُنَظَّمَا

من الطبيعي أن تكون خصوبة هذا الوادي، ووفرة مياهه من أكثر العوامل التي حملت «شعثاء» وأهلها على اتخاذها أماكن سكنى ينزلون بها.

وكان "حسان" يذكر الوديان المقترنة بالنصر للمباهاة، حيث يقول:[4]

زَهْوًا بِكُلِّ مُقَلِّصٍ وَطِمِرَّةٍ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ عَطَفْنَ وَوَادٍ

(1)– المرجع السابق ، ص30.
(2)– حسان بن ثابت ، الديوان، ص 194.
(3)– المصدر نفسه ، ص 217.
(4)– المصدر نفسه، ص73 .

من خلال ما تقدم يظهر أن الوديان مثلت للشاعر أمكنة للمحبة، وموطنا للذكريات الماضية، ومكانا للتباهي بالانتصارات لحل هذه الدلالات راجعة إلى الدور الكبير للوادي في تحديد الأمكنة الأخرى، وجعلها مخضرة، والنهر الصغير نهرا.

5-1- الحرات:

مما اشتهر منها بالخصب والنماء، وبكثرة المياه فيها، حرار المدينة وخيبر، فقد

«أصبحت تؤلف مجموعة كبيرة من القرى المزدحمة بالسكان. وقد استفاد العرب من هذه الحرار باستخراج الرحى والمسان منها، وشغلت أحاديث الحرار جانبا كبيرا من قصص العرب ورواياتهم»[1]. وظلت أحاديث الحرار تتردد حتى عهد الخلفاء الراشدين، كما تطرق لذكرها الشعراء في أشعارهم فـ«حاولوا أن يحددوا لنا هذه المناطق، ويرسموا أماكنها بكل دقة وما كانوا يجدونه فيها، وبهذه المعلومات يوضحون أخبارا تاريخية ويصورون تخطيطا جغرافيا يمكن الانتفاع منه».[2]

فقد ذكر"حسان" حرة واقم بالمدينة فقال: [3]

لَنَا حَرَّةٌ مَأطورَةٌ بِجِبالِهَا بَنَى المَجْدُ فِيها بَيْتَهُ فَتَأَثَّلاَ

إن تحديد الشاعر لهذا الموضع لم يقتصر على كونها منطقة خصبة اتخذتها المدينة مربعا تنعم بخصبه، ومياهه، وإنما تعدت دلالتها إلى أبعد من ذلك، فقد أصبحت وثيقة تاريخية وجغرافية صادقة.

(1)– نوري حمودي القيسي ، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 39.
(2)– المرجع نفسه ، ص 40.
(3)– حسان بن ثابت، الديوان، ص 208.

6-1- المياه:

تعتبر المياه عنصرا بالغ الأهمية والإيحاء بالحياة، كما أن لها ارتباط وثيق بجدلية الوجود/العدم، وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [1] .

وقد كانت مناطق الجزيرة العربية تتفاوت من حيث وفرة المياه والخصب، وكثرة الأمطار، وكان الشعر يحفل بإشارات متعددة إلى الغدران، والجداول، والعيون، والشعاب والسيول، والوديان.[2]

ويمكن الاستدلال على وفرة المياه في بعض المناطق بقول "حسان" يصف أرضا خصبة، مشيرا إلى الجداول، والآبار والحياض:[3]

بِهَا النَّخْلُ وَالآطَامُ تَجْرِي خِلاَلَهَا جَدَاوِلُ تَغْلُو رُقَاقًا وَجَرْوَلاَ

عَلَى كُلِّ مِفْهَاقٍ خَسِيفٍ غُرُوبُهَا تَفَرَّغُ فِي حَوْضٍ مِنَ الصَّخْرِ أَنْجَلاَ

في مقابل ذلك، هناك مناطق نادرة المياه وإن توفرت بعض الآبار في أجزاء متباعدة منها، ولهذا اغلب على سكانها طابع البداوة، فكانوا قبائل رحلا يطلبون الماء ويسعون وراء الكلأ الذي يعتبر عماد حياتهم. من ذلك ما قاله "حسان" عن رحيل لميس التي اتخذت لها مكانا قرب بئر كثيرة الماء:[4]

بَانَتْ لَمِيسُ بِحَبْلٍ مِنْكَ أَقْطَاعِ وَاحْتَلَّتِ الغَمْرَ نَزْعًا ذاتَ أَشْرَاعِ

وَأَصْبَحَتْ في بَنِي نَصْرٍ مُجَاوِرَةً تَرْعَى الأَبَاطِحَ في عِزٍ وَإِمْرَاعِ

(1)– سورة الأنبياء ، الآية 30.
(2)– ينظر : نوري حمودي القيسي ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ، ص 41.
(3)– حسان بن ثابت ، الديوان، ص 208.
(4)– المصدر نفسه، ص 155.

واستخدم "حسان" صورة البحر في المدح لإظهار فيض الممدوح، قال يمدح "النعمان بن المنذر":[1]

وَأَلْفَيْتُهُ بَحْرًا كَثِيرًا فُضُولُـهُ جَوَادًا مَتَى يُذْكَرْ لَهُ الخَيْرُ يَزْدَدِ

فدلالة المياه (البحر) في هذا البيت لا تتعدى الكرم وشدة سخاء الممدوح وعطاياه فممدوحه كالبحر في الكرم والجود.

ونجد الدلالة ذاتها في حديثه عن كرم قومه، قائلا:[2]

إِذَا اغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَـاءِ وَأَمْحَلَتْ كَأَنَّ عَلَيْهَا ثَوْبَ عَصْبٍ مُسَهَّمَا

حَسِبْتَ قُدُورَ الصَّادِ حَوْلَ بُيُوتِنَا قَنَابِلَ دُهْمًا في المَحَلَّةِ صُيَّمَـا

يَظَلُّ لَدَيْهَا الوَاغِلونَ كَأَنَّمَـا يُوَافُونَ بَحْرًا مِنْ سُمَيْحَةَ مُفْعَمَا

وكان العرب منذ فجر تاريخهم، ينظرون إلى المياه نظرة تقديس، لأنها مورد الخصب والنماء، وواهبة البركة.[3]

وما بئر زمزم– البئر المباركة المشهورة– إلا دليل على ذلك، فقد فضلها الناس على سواها من المياه، لجلال قدرها، وكان يتمثل بشرفها على سائر المياه، فكانوا يتفاخرون في المُقام عليها، والشرب منها، والاغتسال بها لمكانها من المسجد الحرام، ولأنها بئر"اسماعيل"(عليه السلام).[4]

(1)– المصدر السابق، ص 82.

(2)– المصدر نفسه، ص ص 218، 219. أمحلت : أجدبت . العصب: برود يمانية يعصب غزلها أي يجمع و يشد ثم يصبغ و ينسج فيأتي موشيا لبقاء ما عصب منه أبيض، لم يأخذه صبغ. المسهم: المخطط. الصاد : الصفر. و قدور الصاد: قدور النحاس . القنابل: الجماعات من الخيل. صيّم : قيّم . الوغل: الدنيء الداخل على القوم في طعامهم و شرابهم دون أن يدعى. سميحة: بئر بالمدينة غزيرة الماء .

(3)– ينظر : نوري حمودي القيسي ، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 43.

(4)– ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، (د ط) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1397 ه – 1977 م ص ص 147، 148.

فقد بلغت منزلة من يشرب منها درجة الشرف والفخر، حتى قال"حسان" يهجو"هذيلا" ويعيرها بأنها لا تعرف ماء زمزم:[1]

فَلاَ واللهِ مَا تَدْرِي هُذَيْلٌ أَمَحْضٌ مَاءُ زَمْزَمَ أَمْ مَشُوبُ

في السياق نفسه، وتثمينا للماء، ما ذكره مفتخرا بقوة المسلمين وقدرتهم على الورد من ماء بدر– البئر التي تقدم خدمات جليلة للحجاج القادمين إلى مكة– قائلا: [2]

وَقَدْ زَعَمْتُمْ بِأَنْ تَحْمُوا ذِمَارَكُمْ وَمَاءُ بَدْرٍ زَعَمْتُمْ غَيْرُ مَوْرُودِ

وَقَدْ وَرَدْنَا وَلَمْ نَسْمَعْ لِقَوْلِكُمْ حتَّى شَرِبْنَا رَوَاءً غَيْرَ تَصْرِيدِ

وخلاصة القول: إن المياه احتلت مكانا مهما في شعر"حسان"، إذ شكلت مصدرا لدوام الحياة، ودلالة على الكرم والسخاء، كما نظر إليها نظرة تقديس لأنها واهبة البركة والخير.

رابعا– الأماكن المقدسة:

تعددت الأماكن الدينية المقدسة في شعر"حسان" وحملت فكرة روحية خضعت لاعتقاده فهي «تظل معبرة عن دلالة دينية لواقع حقيقي في مرحلة تاريخية معروفة، وقد تستجيب لدوافع نفسية وفنية بحتة لما تثيره من أحاسيس وكوامن عند الشعراء، ولما تقدمه لهم من مادة جديدة وطريقة للتمثيل والتصوير»[3].

فالشاعر يرى نفسه وهو يقطن، أو يحل بهذه الأمكنة المقدسة، أنه ينتقل من حالة مادية إلى حالة روحانية، يعرض من خلالها ما يشعر به تجاهها. فقد كان "لمكة المكرمة" حيز معتبر في شعر"حسان"، لأن فيها بيت الله الذي يؤمه الناس للحج – قبل الإسلام وبعده – فعظموا مكانتها، واتخذوا منها مكانا آمنا يسكنون فيه، وقسما موازيا للقسم بالله (عزوجل)

(1)– حسان بن ثابت ، الديوان، ص 39.
(2)– المصدر نفسه، ص 55.
(3)– طاهر أحمد مكي ، امرئ القيس أمير شعراء الجاهلية ، حياته و شعره ، (د ط) ، دار المعارف ، مصر، 1968م ص 95.

هذا ما طالعنا به "حسان" في قوله:[1]

إنَّا وَمَا حَجَّ الحَجِيجُ لِبَيْتِهِ رُكْبَانُ مَكَّةَ مَعْشَرُ الأَنْصَارِ

نَفْرِي جَمَاجِمَكُمْ بِكُلِّ مُهَنَّدِ ضَرِبَ القُدَارِ مَبَادِيَ الأَيْسَارِ

وكذا قوله:[2]

جِيرَانُهُ الأَدْنُونَ حَوْلَ بُيُوتِهِ غَدَرُوا وَرَبِّ البَيْتِ ذِي الأَسْتَارِ

وقال مفتخرا بـ "مناة" الذين خصهم "الله"(تعالى) كرامة وفضلا على سواهم من القبائل فهم حجَّاب البيت:[3]

وَمَنَاةَ رَبِّي خَصَّهُمْ بِكَرَامَـةٍ حُجَّابُ بَيتِ اللهِ ذِي الأَسْتَارِ

وقد أبدى "حسان" استنكاره الشديد للفعلة الشنعاء التي قام بها "الحارث بن عامر"

حين سرق غزال الكعبة وحليتها، ودعا عليه بأن يلزمه الله خسرانا وهلاكا، وفي هذا دلالة كبيرة على قداسة الكعبة ومكانتها عند "حسان" وهذا في قوله:[4]

يَا سَالِبَ البَيْتِ ذِي الأَرْكَانِ حِلْيَتُهُ أَدِّ الغَزَالَ فَلَنْ يَخْفَى لِمُسْتَلِبِ

سَائِلْ بَنِي الحَارِثِ المُزْرِي لِمَعْشَرِهِ أَيْنَ الغَزَالُ عَلَيْهِ الدُّرُّ مِنْ ذَهَبِ

بِئْسَ البَنُونَ وَبِئْسَ الشَّيْخُ شَيْخُهُمُ تَبًّا لِذَلِكَ مِنْ شَيْخٍ وَمِنْ عَقِبِ

ومن الأماكن المقدسة التي ذكرها "حسان" في أشعاره "الحجرات" وهي مساكن "النبي"(صلى الله عليه وسلم) حيث كان يقيم، فينزل نور "الله"(تعالى) عليه، ويضيء على

(1)– حسان بن ثابت، الديوان، ص 126. نفير: نشق . القدار: الجزار. الأيسار: المقامرون.
(2)– المصدر نفسه ، ص 111.جيرانه الأدنونة : أراد بني النجار فمن من در أحدهم تصور الثائرون إلى دار عثمان و قتلوه.
(3)- المصدر نفسه، ص 122. مناة : قبيلة عبد مناة ، أو إسم صنم كان يعبد في الجاهلية.
(4)– المصدر نفسه ، ص 37.العقب: ولد الرجل. تبا له : ألزمه الله خسرانا و هلاكا.

الناس بالأحكام السماوية، وبذلك يظل لمعالم منزله (صلى الله عليه وسلم) قداسة وبركة مهما أتاها من عوامل البِلى، حيث يقول:[1]

بِهَا حُجُرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسْطَهَا مِنَ اللهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ

مَعَالِمُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى العَهْدِ آيُهَا أَتَاهَا البِلَى فَالآيُ مِنْهَا تَجَدَّدُ

كما كان لموقع الجمرات بمنى حضور في شعره إذ يقول:[2]

وَبِالجَمْرَةِ الكُبْرَى لَهُ ثُمَّ أَوْحَشَتْ دِيَارٌ وَعَرَصَاتٌ وَرُبْعٌ وَمَوْلِدُ

وذكر "حسان" بعض الأماكن المقدسة في معرض هجائه قبيلة "هذيل" وأقسم أن لا نصيب لها فيها في حجها وعمرتها قائلا:[3]

فَلاَ وَاللهِ مَا تَدْرِي هُذَيْلٌ أَمَحْضٌ مَاءُ زَمْزَمَ أَمْ مَشُوبُ

وَمَالَهُمْ إِنِ اعْتَمَرُوا وَحَجُّوا مِنَ الحَجَرَيْنِ وَالمَسْعَى نَصِيبُ

وجد "حسان" في هذه الأماكن (ماء زمزم، الحجرين، والمسعى) ضالته، فكلها أماكن لها خصوصية دينية، وقد جعلها تنفر من "هذيل". فالشاعر لم يذكرها اعتباطا، وإنما ذكره لعلمه بأهميتها وقداستها.

ومن الأماكن ممن ترك أثرا عميقا في نفس "حسان" وصل إلى حد التقديس، حيث جعل لها قداسة مميزة وطهرا لأنها خاصة "بالنبي الكريم"(صلى الله عليه وسلم)، قبره والبلاد التي ثوى فيها (صلى الله عليه وسلم)، حيث طالعنا بذلك في قوله:[1]

(1)– المصدر السابق ، ص ص 60، 61.
(2)– المصدر نفسه، ص 63.
(3)– المصدر نفسه، ص 39. الماء المحض : الخالص الصافي ، بخلاب المشوب . الحجرين : الحجر الأسود و الحجر الذي فيه مقام إبراهيم عليه السلام . المسعى: بين الصفا و المروة .
(1)– المصدر السابق ، ص 61.

فَبُورِكْتَ يَا قَبْرَ الرَّسُولِ وَبَورِكَتْ بِلاَدٌ ثَوَى فيهَا الرَّشيدُ المُسَدَّدُ

وَبُورِكَ لَحْدٌ مِنْكَ ضُمِّنَ طَيِّبًا علَيهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنَضَّدُ

أما المساجد فتحتل مكانة عظيمة في نفوس المسلمين، فالمسجد ليس مجرد موضع يؤدي فيه الدين، بل هو بيت "الله"(سبحانه وتعالى)، ومجمع المؤمنين، ورمز الإيمان

وحرمة المسجد عظيمة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ [2].

وتظل المساجد مكانا مقدسا، لأن المسجد –قبل كل شيء– فكرة وروح، فأما الفكرة فهي التي وضعها "رسول الله"(صلى الله عليه وسلم) عندما بني مسجده الأول (قباء) في المدينة، وأما الروح فهي روح الإسلام، لذلك اهتم المسلمين ببناء المساجد وإعمارها لكي تصبح مكانا آمنا يؤمه الناس للصلاة والتقرب إلى "الخالق"(سبحانه وتعالى)، فزيارة المسجد إنما تكون للنجوى والتأمل والتوبة.[3]

وقد كان لها حضور متميز في شعر "حسان"، لأنها تشكل دعائم الإسلام التي يرتكز عليها، وكان "الرسول"(صلى الله عليه وسلم) يتلو كتاب الله في كل مسجد، يقول "حسان" في هذا المعنى:[4]

نَبِيٌّ يَرَى مَا لاَ يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُو كِتَابَ اللهِ فِي كُلِّ مَسْجِدِ

كان وراء ذكر "حسان" لهذه الأمكنة، الاعتناق الديني، وكذا حبه "للرسول الكريم"(صلى الله عليه وسلم)، الذي امتد إلى الأماكن التي كان يحل بها، هذا الاعتناق خلق نوعا من التآلف والمحبة بين الشاعر وأماكنه المقدسة.

(2)– سورة النور ، الآية 36.
(3)– حسين مؤنس،« المساجد » ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد 37، الكويت، 1978 م ، ص 48.
(4)– حسان بن ثابت ، الديوان، ص 60.

خامسا المكان الحلم (الأعلى):

من الملاحظ أن هناك تقارب بين الشعر من جهة، والحلم من جهة أخرى، ولكن هل يشمل هذا التقارب الحلم في حالتي اليقظة والرقود أم أنه يفصل بينهما؟ والواضح أنه اختلاف بين هذين النوعين من الأحلام، ذلك أن حلم الراقد يمثل نشاطا سايكولوجيا بحتا يمارسه النائم في نومه مستفيدا مما تكتنزه ذاكرته من صور ورموز، وهذا ما أطلق عليه النفسانيون ممثلون بـ «فرويد» بالمضمون الظاهر الذي يمثل وجها عاكسا للمضمون الخفي الذي يشير إلى الأفكار والمشاعر التي تكمن وراء تلك الصور والرموز.[1]

يعني هذا أن أحلام النائم عفوية، وليس لها أي خيار في تحديد الأمكنة والصور، أما حلم الشاعر فيختلف عما سبقه تماما من حيث أنه حلم في حالة الوعي واليقظة، وعليه فالشاعر يختار مكانه الشعري اختيارا دون أن يفرض عليه فرضا.

ويمكن تقسيم المكان الحلم عند "حسان" إلى قسمين:

أولهما: المكان الحلم المتخيل الذي يكون وجوده مرهونا بالتخييل لا بالواقع.

والآخر: يتمثل في المكان الحلم غير المعيش المتمني الحصول عليه، وهذا المكان يلغي الماضي والحاضر ويتطلع إلى المستقبل الذي يحقق أحلام الشاعر.

1-1- المكان الحلم المتخيل:

(1)– ينظر: مسلم حسب حسين ، « الصورة الحلمية و الصورة الشعرية » ، مجلة الأقلام ، العدد 7 ، 8 ، 1992م ص 114.

«هو مكان نفسي منقطع عن الواقع، تتأسس فضاءاته في مخيلة الشاعر ويستمد أبعاده من رؤية الشاعر الفنية».[1]

فهذا المكان الحلم، مكان غير مرئي، وغير مدرك بالحواس، فهو غير موجود وجودا حقيقيا إلا في مخيلة الشاعر المبدع، الذي يستطيع تحديد أشكاله وفق نمط التفكير السائد آنذاك وبأبعاد جمالية.

وقد تمثل المكان الحلم المتخيل في شعر "حسان" في طيف الخيال.

أ- المكان (طيف الخيال):

« الطيف ذلك اللقاء الخيالي الخاطف الذي يجمع المحبين بعد أن تهدأ النفوس وترقد الأجساد في النوم، ونتيجة لهيام الشعراء بالطيف وحبهم له فقد حصر النقاد فكرته بشكل رئيس في المرأة المعشوقة».[2]

ولعل الأمر الذي دفع الشعراء إلى ذكر الطيف هو تمنيهم وأشواقهم إلى رؤية أحبتهم الذين شطت بهم المنازل حتى بعدوا، فكان الطيف الملاذ الوحيد الذي يخفف عنهم وطأة البعد والحنين.

وقد أدرك "حسان" أن الأحلام تقرب البعيد، وتحقق المحال، فراح ينه نفسه عن ذكر الديار، ليتفرغ للحديث عما يشبه حلم اليقظة، فيجتر ذكرياته مع "شعثاء" التي يؤرقه طيفها، يقول:[3]

فَدَعْ هَذَا وَلَكِنْ مَنْ لِطَيفٍ يُؤَرِّقُنِي إِذَا ذَهَبَ العِشَاءُ

(1)– حسين علي الدخيلي ، الفضاء الشعري عند الشعراء اللصوص في العصرين الجاهلي و الإسلامي، ص 92.
(2)– حسين مصطفى السقى، الطيف و الخيال في الشعر العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، (رسالة ماجستير) ، جامعة عين شمس، كلية الآداب ، 1993 م ، ص 33 . نقلا عن المرجع السابق. ص ص 92، 93.
(3)– حسان بن ثابت، الديوان ، ص 18.

لِشَعْثَاءَ التِي قَدْ تَيَّمَتـْهُ فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفـَاءُ

يحدد "حسان" زمان اللقاء بحبيبته(شعثاء)، حيث أن طيفها تزامن مع ذهاب العشاء هذا الوقت يحلم به الشاعر لاتصافه بالهدوء والسكينة، لكنه لم يحدد مكان اللقاء، ذلك المكان الحلم.

ويذكر "حسان"، طيف حبيبته التي أضنت فؤاده كيف وصل إليه وهي بعيدة الدار حيث صورها وهي تسقيه بريقها، الذي شبهه بالمسك عندما يخلط بماء سحابة، أو بخمر معتقة، في قوله:[1]

تَبَّلَتْ فُؤَادَكَ في المَنَامِ خَرِيدَةٌ تَسْقِي الضَّجِيعَ بِبَارِدٍ بَسَّامِ

كَالمِسْكِ تَخْلِطُهُ بِمَاءِ سَحَابَةٍ أَوْ عَاتِقٍ كَدَمِ الذَّبِيحِ مُدَامِ

وهذا أمر طبيعي، غالبا ما أدركه الشعراء في مختلف العصور والأماكن فـ«زيارة الطيف على بعد الدار وشحط المزار ووعورة الطريق واشتباه السبل، واهتدائه إلى المضاجع من غيرها... وكيف قطع بعيد المسافة بلا حافر ولا خف، في أقرب مدة وأسرع زمان».[2]

فالمرأة في المكان الحلم ما هي إلا مشاعر وأحاسيس تتجسد في صورة تعبيرية تعبر عن لحظة نفسية، ربما تمثل بدورها لحظة الحرمان من اللقاء في الواقع، لذا يلجأ إلى الخيال ويطلق العنان لرسم مكانه وزمانه الذين يوحدانه مع الحبيبة.

(1)– المصدر السابق، ص 213. تبلت فؤادك : أضنته و أسقمته. الخريدة من النساء : البكر التي لم تمسس قط . البارد : الثغر . العاتق: الخمر المعتق. كدم الذبيح: صفة للخمر.

(2)– الشريف المرتضى، طيف الخيال، تحقيق، حسن كامل الصيرفي ، ط 1 ، دار إحياء الكتب العربية ، 1962 م ص 16.

ويطالعنا "حسان" بأبيات تعكس حالته النفسية المضطربة تجاه مكانه الواقعي البائس بسبب الجفوة التي حصلت بينه وبين «شعثاء»، والتي كان سببها الواشون، فلجأ إلى المكان الحلم ليعوض به عن حاضره المؤلم الحزين، قائلا:[1]

وَقَدْ أَدْرَكَ الوَاشُونَ مَا فَعَلُوا فَالحَبْلُ مِنْ شَعْثَاءَ رَثُّ الزِّمَامُ

جِنِّيـَةٌ أَرَّقَنِي طَيْفُهـَا تَذْهَبُ صُبْحًا وَتَرَى في المَنَام

وخلاصة القول: إن المكان الحلم –طيف الخيال– يعبر عن لحظة نفسية مر بها الشاعر، تظهر من خلال تلك الصورة التي تدور في الخيال.

1–2– المكان الحلم غير المعيش المتمني الحصول عليه:

هو المكان الذي يتمنى الشاعر أن يحيا فيه مع من يحب، بسلام ودون وجود ما ينغص عليه هذا «حيث أن الإنسان يعلن دائما عن حاجته إلى إقرار وجوده والبرهنة على كينونته من خلال الإقامة في مكان ثابت سعيا وراء رغبة متأصلة في الاستقرار وطلب الأمن للذات»[2] إلا أن هذا المكان لم يسبق أن عاشه الشاعر واقعا، إنما تمنى العيش فيه إلى جوار من يحب، فهو يختلف عن المكان الواقعي.

ويمكن تبيين هذا المكان في شعر "حسان"، بقوله:[3]

يَا رَب فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِيَّنَا فِي جَنَّةٍ تُثْنِي عُيُونَ الحُسَّدِ

فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ فَاكْتُبْهَا لَنَا يَا ذَا الجَلاَلِ وَذَا العُلاَ وَالسُّؤْدَدِ

الأبيات تدل على البعد المكاني والزماني بين طرفي الثنائية الأنا/ الآخر حسان/النبي(صلى الله عليه وسلم)، ودعاء النفس المعذبة التي فقدت الحبيب المصطفى

(1)– حسان بن ثابت، الديوان، ص 224.
(2)– حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي الفضاء – الزمن – الشخصية ، ص 53.
(3)– حسان بن ثابت، الديوان، ص 65.

(صلى الله عليه وسلم) بأن يجمعنا "الله" (تعالى) به يوم القيامة في جنة تدفع عيون الحاسدين، في جنة الفردوس، فالدلالة التي تتمخض من هذا المكان المخصص –جنة الفردوس– ترسم لنا صورة للمكان الذي ينشد الشاعر.

ويذهب الشاعر إلى الألفاظ والمعاني ذاتها في أبيات أخرى، يحلم فيها بالجنة(المكان) إلى جوار "النبي"(صلى الله عليه وسلم)، فهو لا يكف عن ثنائه راجيا في شفاعته (صلى الله عليه وسلم) ليخلد معه في جنات النعيم قائلا:[1]

وَلَيْسَ هَوَائِي نَازِعًا عَنْ ثَنَائِـهِ لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الخُلْدِ أَخْلُدِ

مَعَ المُصْطَفَى أَرْجُو بِذَاكَ جِوَارَهُ وَفِي نَيْلِ ذَاكَ اليَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدِ

مما تقدم يمكن القول: إن المكان الحلم يمثل الأمل للقاء، بعد أن أصبح المكان الواقعي قاصرا عن تحقيق ذلك لأسباب معينة، كما يتضح لنا أن المكان الحلم(الأعلى) يُفَسَّرُ هنا على أنه مجال الحياة السعيدة.

سادسا– القبر (الأسفل):

هو النتيجة الحتمية التي يؤول إليها الإنسان بعد حياته، ولعله يثير في النفس الرعب والخوف، وهذا الأمر ليس عند "حسان" فحسب بل هو«أمر شائع وعام لدى البشر ذلك لأن الموت يقتحم أفكارنا وحياتنا بطرق شتى ولأسباب متعددة».[2]

لذا نجد "حسان" قد عانى قلق الموت وحتميته، الأمر الذي به إلى تقبل الواقع والاستسلام له، هذا ما طالعنا به "حسان" بقوله:[3]

مَنْ سَرَّهُ المَوْتُ صَرْفًا لاَ مَزَاجَ لَهُ فَلْيَأْتِ مَأْسَدَةً فِي دَارِ عُثْمَانَا

(1)– المصدر السابق ، ص 64. نازعا عن ثنائه : منته .
(2)– أحمد محمد عبد الخالق ، « قلق الموت » ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد 111 ، الكويت، 1998م ، ص 37.
(3)– حسان بن ثابت ، الديوان، ص 244. المأسدة: المكان الذي تكثر فيه الأسد.

في هذا البيت تظهر فكرة القلق من الموت عند الشاعر وهذا القلق «قلق عام... يرتكز حول موضوعات متصلة بالموت».[1]

الأمر ذاته نجده في رثائة "النبي"(صلى الله عليه وسلم) حين قال:[2]

عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدِهِ وَقَبْرًا بِهِ وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مِلْحِدُ

ظَلِلْتُ بِهَا أَبْكِي الرَّسُولَ فَأَسْعَدَتْ عُيُونٌ وَمِثْلاَها مِنَ الجَفْنِ تُسْعِدُ

إذ أكَّد "حسان" الصورة التي تقلق النفس وتقهرهَا، وهي مشاهدة القبر على الخصوص، وهي تمثل الدلالة المكانية لفعل الرحيل. فالإحساس بالمكان يقاس بوقعه على النفس.

وقد أبدى "حسان" تطيُّرَه وتشاؤمه من القبر بقوله:[3]

يَنْعَى الصَّدَى فِيهَا أَخَاهُ كَمَا يَنْعَى المُفَجَّعُ صَاحِبَ القَبْرِ

ويطالعنا "حسان" بموقف مناقض من الموت والقبر، جاء نتيجة حبه الكبير "للرسول"(صلى الله عليه وسلم)، يقول:[4]

وَجْهِي يَقِيكَ التُّرْبَ لَهْفِي لَيْتَنِي غُيِّبْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ

يتبين المكان (بقيع الغرقد) –مقبرة أهل المدينة– مكان أليف من خلال أمنية الشاعر التي تملأ ذاته، فيطلقها بأعلى صوته «لهفي ليتني» والتي تجسد المشهد المأساوي لعدم تحقيق الفعل، فالتمني يراد به استحالة تحقيق الغاية لا سيما إذا كانت «الموت».

(1)– أحمد محمد عبد الخالق، « قلق الموت » ، ص 38.
(2)– حسان بن ثابت ، الديوان ، ص 61.
(3)– المصدر نفسه ، ص 105.
(4)– المصدر نفسه ، ص 65.بقيع الغرقد : الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتى .، و به سمي بقيع الغرقد . و الغرقد : كبار العوسج . و هو مقبرة أهل المدينة و هي داخل المدينة.

في نهاية الحديث عن القبر، يتبين أن خوف الشاعر وحزنه لم يكن من الموت، لأن الموت أصبح شيئا مؤمنا به، لا سيما في العصر الإسلامي، بل خوفه من فراق من يحبهم، فظل القبر عنده مكانا غير مستحب، وظل الموت –وهو توقف الحركة– حركة نحو الأسفل.

سابعا– الأمكنة الحربية:

جاء شعر صدر الإسلام متتبعا الأمكنة الحربية كبدر، وأحد، وخيبر، ومؤتتة، ومعونة.. وغيرها مما كان يقع للعرب، فكان الشعر يصف مشهدا حربيا حقيقيا.[1]

«فالحدث في التجربة الشعرية قد يتماثل مع ما يحدث في العالم الخارجي من وقائع ترتبط بعوامل وعناصر أساسية مكونة لها. ويجري تصوير كل ذلك بإيجاز يكفي لإعطاء الدليل التام على ظروف الحدث وقيمته الاجتماعية أو السياسية أو التاريخية»[2].

ذلك أن الشاعر ليس مؤرخا، وبذلك فإنه لا يتقيد بظرف زماني متسلسل، أو مكان معين، إلا بحدود ما تمليه بعض الوقائع المهمة من تحديد لزمان الحدث ومكانه داخل القصيدة، لأجل إبراز قيم البطولة بأطرها الفردي والجماعي، فوصف مشاهد الحرب في الشعر يكون بزمان طارئ وغير مستمر، وقد يحمل بعدا تاريخيا، لكن نجد المكان سابقا للحرب ويمتلك صفة الديمومة والتواصل مع الشخصية.[3]

وقد حاول "حسان" الاستفادة من المكان الحقيقي للحرب بكل مؤثراته في قصيدته الهمزية التي مطلعها:[4]

(1)– ينظر: مسعود بن ساري ، تلمسان في الشعر الجزائري القديم في العهدين الزياني و العثماني ، (رسالة ماجستير) جامعة قاسدي مرباح ورقلة ، إشراف ، مشري بن خليفة ، 2008م ، ص 17.
(2) - حيدر لازم مطلك ، الزمان و المكان في شعر أبي الطيب المتنبي، ص 175.
(3)– ينظر : المرجع نفسه ، ص ص 175 ، 176.
(4)– حسان بن ثابت ، الديوان ، ص ص 17 - 19.

عَفَتْ ذَاتُ الأَصَابِعِ فَالجِواءُ إِلَى عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلاَءُ

فقد تضمنت هذه القصيدة وصفا لدخول "مكة المكرمة" عن طريق «كداء»، في السنة الثامنة للهجرة. و يواصل

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ

يُبَارِينَ الأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاءُ

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ تُلَطِمُهُنَّ بِالخُمُرِ النِّسَاءُ

فَإِمَّا تَعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الفَتْحُ وَانْكَشَفَ الغِطَاءُ

وَإِلاَّ فَاصْبِرُوا لِجِلاَدِ يَوْمٍ يُعِزُّ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ

فموضع "مكة المكرمة" مكان واضح، كونه واقعيا ويمتد في التاريخ، وإن العلاقة قائمة بينه وبين الشخصية، فالشاعر يدعو على خيل المسلمين بالفناء إن لم تحقق الهدف من اقتنائها في الحرب، وهو إثارة النقع على رؤوس الكفار بموضع «كداء» توطئة لدخول

"مكة المكرمة"، ورفع راية الإسلام خفاقة فوقها، ثم يقول: إنه يضع بين أيدي المشركين حلي، فإن شاؤوا أن يحقنوا الدماء، وأن يتوبوا فلا يعترضوا طريق المسلمين لدى دخولهم مكة معتمرين، وإلا فليأخذوا أهبتهم ليوم تتقارع فيه السيوف، ذلك اليوم الذي سيرون من يعز الله فيه وينصر.

النقع : الغبار . كداء: بأعلى مكة عند المحصب دار النبي (صلى الله عليه و سلم) من ذي طوى عليها . و قيل : الثنية السفلى هي كداء . يبارين الأعنة: يجارين في السرعة. تمطرت الخيل : ذهبت مسرعة . تطلمهن النساء: يضربن خدود الخيل ليرددنها . الخمر : جمع خمار و هو الستر الذي تغطي به المرأة رأسها. اعتمرن : الدين العمرة . الجلاد و مجالدة: المبالطة ، و التضارب بالسيوف.

وقد ذكر "حسان"(رضي الله عنه) كل يوم من أيام المسلمين على المشركين، كما هو الحال في القصيدة التالية التي استدعى فيها جملة من الأماكن كانت مسرحا لمعارك شرسة في إشارة إلى أهمية هذه المواضع قائلا:[1]

نَصَرْنَا وَأَوَيْنَا النَّبِيَّ وَصَدَّقَتْ أَوَائِلُنَا بِالحَقِّ أَوَّلَ قَائِلِ

وَكُنَّا مَتَى يَغْزُ النَّبِيُّ قَبِيلَـةً نَصِلْ حَافَتَيْهِ بِالقَنَا وَالقَنَابِلِ

وَيَوْمَ قُرَيشٍ إِذْ أَتَوْنَا بِجَمْعِهِمْ وَظِئْنَا العَدُوَّ وَطْأَةَ المُتَثَاقِلِ

وَفِي أُحُدٍ يَوْمٌ لَهُمْ كَانَ مُخْزِيًا نُطَاعِنُهُمْ بِالسَّمْهَرِيِّ الذَوَابِلِ

وَيَوْمَ ثَقِيفٍ إِذْ أَتَيْنَا دِيَارَهُمْ كَتَائِبَ نَمْشِي حَوْلَهَا بِالمَنَاصِلِ

فَفَرُّوا وَشَدَّ اللهُ رُكْنَ نَبِيِّهِ بِكُلِّ فَتًى حَامِي الحَقِيقَةِ بَاسِلِ

فقد بلغت الأماكن المذكورة في الأبيات ثلاثة أماكن، وهي شاهدة على أيام المسلمين على المشركين. "فحسان" يصور موقف الأنصار الصادق من "النبي"(صلى الله عليه وسلم)، والدعوة الإسلامية، فبذكر يوم «قريش» –ويعني به يوم بدر– إذ التقى الجمعان وكان النصر للمسلمين، ويذكر يوما آخر مشهودا فيقول: وفي "أحد" كان للأعداء يوم كله خزي إذ نالت منهم رماحنا. ثم يذكر يوم "ثقيف" إذ آتى المسلمون ديار المشركين كتائب مدججة بالسلاح فكان عليهم يوما ثقيلا.

لقد ظل المكان الحربي عند الشاعر انعكاسا لهذه الأيام –الحوادث–، فهو يعكس مظاهر الاختلاف التي كانت تذب عادة بين المسلمين من جهة وبين المشركين من جهة أخرى.

(1)– المصدر السابق ، ص 187.
القنا : الرماح . القنابل : جماعات خيولنا. السمهري : صفة للرمح . يوم ثقيف : هو يوم الطائف. المناصل: السيوف. الحقيقة : الشرف و كل ما يدافع عنه 123 .

إن تنوع الأمكنة في النص الشعري يعكس علاقات الشاعر المتنوعة بالمكان

و ذلك من خلال صوره : الطلل ، المدينة ، الأماكن الطبيعية، الأماكن المقدسة ،المكان الحلم ، القبر ، الأماكن الحربية .

الفصـل الثـالـث

المكان والصورة الشعرية

تمهيد

أولا– المكان والصورة التشبيهية

ثانيا– المكان والصورة الإستعارية

ثالثا– المكان والصورة الكنائية

تمهيد:

حفل الأدب العربي بأساليب التعبير الجميلة، وسجَّل أحاسيس الناس المختلفة، ولما كانت وظيفته هي إبراز الواقع في صورة أجمل من صورته الأولى، فقد كان للخيال دور كبير في ذلك إذ يعتبر الطريق الطبيعي لهذا التصوير الذي أمدَّ الأدب بالتجدد «فهو شعر يجسِّد لنا في الأساس انسجام الشاعر مع ذاته من جهة والحياة التي كانت حوله والمتمثلة بالزمان والمكان من جهة أخرى»[1].

والمهم في هذا، هو الكشف عن المكان ودوره في تشكيل النص الشعري، ليس «المكان الجغرافي بهندسته المحدودة، ولكن المكان وقد تحول إلى فضاء دلالي رحب، ذلك أننا نتلقى تجربة المكان عبر لغة يحكمها الخيال»[2]، فالمكان الحقيقي لا يحتفظ بخصائصه كاملة عند تحوله إلى نص شعري، وذلك لتدخل خيال الشاعر.

والكلمة الشعرية غنية بالدلالات، حيث يبتعد الشاعر عن المعنى القاموسي للألفاظ فيوجِد في نصوصه الشعرية مكانا وعالما مختلفين، إلى درجة أنه قد يحول المكان إلى إنسان بالنسبة للمتخيل.[3]

وفي هذا الصدد نقدِّم وجهة نظر"غالب هلسا" في مسألة المكان والبنية الخيالية الموجودة في المقدمة التي خص بها ترجمته لكتاب "غاستون باشلار" «جماليات المكان»

والذي يقول فيها: «ما كنت أفهمه من مصطلح المكانية قبل أن أقرأ هذا الكتاب الذي أقدمه للقارئ ما كنت أعنيه بهذا المصطلح هو المكان الأليف. ولكنني كنت أتصور تلك الألفة على أنها ملامح المدينة المألوفة، والتي نعرف تاريخها وحاضرها جيدا... وعندما قرأت هذا الكتاب تبيَّن أن المكانية تذهب إلى أبعد من ذلك، وهي أكثر تحديدا. إنها تتصل بجوهر

(1)– محمد عبيد صالح السبهاني ، المكان في الشعر الأندلسي ، ص 159.
(2)– فتيحة كحلوش ، بلاغة المكان ، ص 243.
(3)– ينظر: المرجع نفسه ، ص ن .

العمل الفني، وأعني به الصورة الفنية... فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرها أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة».[1]

الملاحظ على "غالب هلسا" أنه حدا حدو "غاستون باشلار" في نظرته إلى الصورة الفنية المتعلقة بالمكان، على أنها تلك التي تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة، لكن المكانية في الأدب لا يمكن حصرها في شيء معين، بل هي تتعلق بجميع الصور التي يثيرها النص المكاني، سواء أتعلق الأمر بأمكنة الماضي المحبوبة وغير المحبوبة، أو تعدت لدلالات فكرية وغيرها.

وعند الحديث عن علاقة المكان بالخيال، فلابد من التعرض للصورة الشعرية فالمتعارف عليه أن مظاهر عمليات التخيل إنما تمكن في الصورة الشعرية في النص وحتى تكون الصورة فاعلة وحية في النص الأدبي، ولها مفعول وتأثير لابد لها من خيال يخرجها من النمطية والمباشرة، فالخيال هو الذي يحلق بالقارئ في الأفق، ويخلق له عالما جديدا يخرجه من العزلة.

المكان والصورة الشعرية:

لقد كانت الصورة الشعرية وما تزال موضوعا يختص بالمدح والثناء.

وقد تميز الأسلوب الشعري باستخدامه صورا من التعبير المتخيل لإيصال الأفكار والعواطف، فالشعر أو الشاعر لا ينقل الدلالات والمعاني بصورتها الحقيقية التي هي عليها في الواقع، بل من خلال الإيحاء بها عن طريق التصور [2]، وهذا ما أشار إليه "الجاحظ"، بقوله: «...فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسيج، وجنس من التصوير»[3].

(1)– غاستون باشلار ، جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسا ، ص 6.
(2)– ينظر: محمد عبيد صالح السبهاني ، المكان في الشعر الأندلسي ، ص 171.
(3)– الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق و شرح ، عبد السلام هارون ، ط 2 ، مطبعة الحلبي ، مصر ، 1385 ه- 1965م ج 3 ، ص 132.

وقال عنه "عبد القاهر الجرجاني": «قولنا "الصورة"، إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا... ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقا، عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا: للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك».[1]

فالشعر إذن –حسب هؤلاء– يتحدد بكيفية من الصياغة والتصوير مختلفة عن التراكيب المعهودة، فتكون الصورة إبداعا جديدا، وفق تصورات الشاعر ورؤاه «فعلى قدر تعبير الصورة وتأثيرها يتوقف قبولها لدى القارئين والسامعين».[2]

أما فيما يخص المكان، فقد كان أحد المكونات التي طرزت الصورة الشعرية، وبثَّ في أجوائها الجمال والرونق والأصالة، وبقيت هذه الصورة تعبر عن نفسية الشاعر وتستوعب أحاسيسه.[3]

وبناءً على ما سبق، سنتناول بعض النماذج الشعرية لتوضيح كيف يظهر المكان في الصورة الشعرية عند الشاعر، وسنعتمد على الصورة التشبيهية، والصورة الإستعارية والصورة الكنائية، ولإبراز كيف جسَّد هذا الأخير المكان في هذه الأنواع التصويرية.

(1)– عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ،(د ط) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر (د ت) ، ص 508.

(2)– صلاح الدين عبد التواب ، الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، ط1 ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان 1995 م ، ص 9.

(3)– ينظر : كمال أبو ديب ، جدالية الخفاء و التجلي ، (دط) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1979 م ص 210.

أولا– المكان والصورة التشبيهية:

التشبيه هو «وصفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته».[1]

وقد اهتم القدماء به، واعتبروه أهم لون بلاغي لأن فائدته هي التوضيح، كما يرى "ابن الأثير" بأن يشبه الشيء بما يطلق عليه لفظ أفعل، أي يشبه بما هو أوضح وأبين، أو بما هو أحسن أو أقبح. وكذلك يشبه الشيء الأقل بما هو أكبر وأعظم، والأدنى بما هو أعلى.[2]

ويذهب "عبد القاهر الجرجاني" إلى أن المهم في بناء الصورة التشبيهية ليس الوفاء للمقاييس الموضوعية للأشياء، كما رأى "ابن الأثير" بل الوفاء لحقيقة الشيء النفسية بقوله: «إن الحذق في إيجاد الائتلاف بين المختلفات في الأجناس أنك تقدر أن تحدث هناك مشابهة ليس لها أصل في العقل، وإنما المعنى أن هناك مشابهات خفية يدق المسلك إليها فإذا تغلغل فكرك فأدركها فقد استحققت الفضل، ولذلك يشبه المدقق في المعاني كالغائص على الدُرّ».[3]

وهناك من وصفه بأنه «أقدم صور البيان ووسائل الخيال، وأقربها إلى الفهم والأذهان والربط بين الأشياء لتقريبها أو توضيحها أو إضفاء مسحة من الجمال». [4]

وأركان التشبيه هي: المشبه، المشبه به، وجه الشبه، وأداة التشبيه.

---

(1)– ابن رشيق ، العمدة ، ج 1 ، ص 286.
(2)– ينظر : ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، قدمه و علق عليه ، أحمد الحوفي و بدوي طبانة ط 2 ، دار النهضة للطبع و النشر ، مصر (د ت) ، ص ص 123- 127.
(3)– عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة، قرأه و علق حواشيه ، محمود محمد شاكر ، (د ط) ، دار المدني ، جدة (د ت) ، ص 152.
(4) - أحمد مطلوب ، فنون بلاغية البيان – البديع، ط 1 ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، 1395 ه – 1975 م ص 27.

ومن الصورة التشبيهية التي قامت على المكان، ورسمت أثره على الشاعر وألفاظه قول "حسان" :[1]

عَرَفْتُ دِيَارَ زَيْنَبَ بِالكَثِيبِ كَخَطِّ الوَحْيِ في الوَرَقِ القَشِيبِ

تَعَاوَرَهَا الرِّيَاحُ وَكُلَّ جَوْنٍ مِنَ الوَسْمِيِّ مُنْهَمِرٍ سَكُوبِ

فَأَمْسَى رَسْمُهَا خَلَقًا وَأَمْسَتْ يَبَابًا بَعدَ سَاكِنِهَا الحَبِيبِ

هذه الأبيات تعكس انفعالات الشاعر الصادقة إزاء المكان الذكرى، فقد شبه آثار ديار "زينب" بالسطور في الورق، إذ استحضر صورة الديار التي لعبت بها الرياح والأمطار حتى أمسى رسمها خاليا باليا بعد أن كانت عامرة بمن يحب، في بروزها والتوائها ككثبان الرمل المتحركة وكأنها آثار كتابة وتدوين على أوراق جديدة. فهذه الصورة التشبيهية تعكس مدى قدرة الشاعر الفنية على التصوير، حيث استطاع من خلالها توظيف الألفاظ المكانية والمعاني بشكل مؤثر لخدمة الصورة الشعرية.

ويذهب "حسان" إلى المعنى ذاته ، بقوله:[2]

لِمَنِ مَنْزِلٌ عَافٍ كَأَنَّ رُسُومَهُ خَيَاعِيلُ رَيْطٍ سَابِرِيٍّ مُرَسَّمِ

خَلاَءُ المَبَادِي مَا بِهِ رُكَّدٍ ثَلاَثٍ كَأَمْثَالِ الحَمَائِمِ جُثَّمِ

وَغَيْرُ شَجِيجٍ مَاثِلٍ حَالَفَ البِلَى وَغَيْرُ بَقَايَا كَالسَّحِيقِ المُنَمَّمِ

تميزت هذه الأبيات بكثرة التشبيهات، فاتضحت بذلك معالم هذا المكان من خلالها، كما استخدم الشاعر أكثر من أداة لتشبيهاته: كأن، أمثال، الكاف.

(1)– حسان بن ثابت ، الديوان ، ص 24.
(2)– المصدر نفسه ، ص 232.

فشبه رسوم المنزل بثوب رقيق عليه رسوما مستخدما أداة التشبيه (كأن) التي تلغي الحدود بين المشبه والمشبه به، وبذلك تقرب بين طرفي التشبيه، وشبه حجارة الأثافي بالحمام القابع في ذلك المكان، كما شبه بقايا الحيوانات بالسحيق المنمنم. وهذه التشبيهات الواردة في مكان واحد –المنزل العاف– مرده إلى براعة الشاعر وقدرته التصويرية، فضلا عن الأثر الذي تركه هذا المكان على نفسيته فانعكس في هذه الصورة التشبيهية.

وقد وردت صور التشبيه عند "حسان" بعدة أساليب منها:

1–1– التشبيه المؤكد المفصل:

وهو ما حذفت أداته وذكر وجه الشبه، وشاهِدُنا على ذلك قول "حسان" في مدح "الرسول"(صلى الله عليه وسلم):[1]

وَافٍ وَماضٍ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ بَدْرٌ أَنَارَ عَلَى كُلِّ الأَمَاجِيدِ

هذه الصورة التشبيهية استمدت وجودها من المكان الطبيعي (البدر والشهاب)، ودلالتها الفنية حيث جمع الشاعر بين صفات ممدوحه(صلى الله عليه وسلم)، وصفات تلك الأمكنة فلم يستعمل الأداة التي تربط بين طرفي التشبيه، إلا أنه ذكر وجه الشبه وهو الاستنارة والاستضاءة. فكأن "الرسول"(صلى الله عليه وسلم) شهاب من حيث الإضاءة فهو ينير الدرب لخائض الظلماء، وبدر يضيء سبيل السادة والأشراف من قريش.

وفي مدح "النعمان بن المنذر" يقول:[2]

وَأَلْفَيْتُهُ بَحرًا كَثِيرًا فُضُولُهُ جَوَادًا مَتَى يُذْكَرْ لَهُ الخَيْرُ يَزْدَدِ

حيث شبه الشاعر ممدوحه بالبحر –ذلك المكان المتسع– من حيث سعته في الجود وكثرة فضله.

(1)– المصدر السابق ، ص 55.
(2)– المصدر نفسه ، ص 82.

فإثبات وجه الشبه يجعل المشابهة محصورة في هذا الوجه فقط، وأما حذف الأداة فيوحي بأن المشبه والمشبه به شيء واحد.

2-1- التشبيه المرسل(المجمل):

وهوالتشبيه الذي تذكر فيه الأداة، ويحذف فيه وجه الشبه، ومن أمثلة ذلك قول "حسان" في معرض حديثه عن التقاء الجيشين يوم "بدر":[1]

غَدَاةَ كَأَنَّ جَمْعَهُمْ حِرَاءٌ بَدَتْ أَرْكَانُهُ جِنْحَ الغُيُوبِ

لقد شبه الشاعر جيش المشركين بجبل حراء، أما وجه الشبه بينهما فهو الضخامة والعظمة.

3-1- التشبيه المرسل المفصل (التشبيه التام):

في هذا النوع من التشبيه تذكر جميع الأركان، ومن أمثلة ذلك قول "حسان":[2]

مُبَارَكٌ كَضِيَاءِ البَدْرِ صُورَتُهُ مَا قَالَ كَانَ قَضَاءً غَيْرَ مَرْدُودِ

شبه الشاعر صورة "الرسول"(صلى الله عليه وسلم) بضياء البدر في البركة.

ويؤكد "حسان" مرة أخرى هذه البركة التي حلت على الأمة العربية ببعثته (صلى الله عليه وسلم) قائلا:[3]

مِثْلَ الهِلاَلِ مُبَارَكًا ذَا رَحْمَةٍ سَمْحَ الخَلِيفَةِ طَيِّبَ الأَعْوَادِ

ومن الصور الأخرى قوله يرثي "زيد بن حارثة" فيشبهه بالبدر في جماله وبهائه وإشراقته:[4]

(1)– المصدر السابق ، ص 24.
(2)– المصدر نفسه ، ص 56.
(3)– المصدر نفسه ، ص 56.
(4)- المصدر نفسه ، ص 108.

أَغَرُّ كَلَوْنِ البَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَبِيٌّ إذَا سِيمَ الظُّلاَمَةَ مِجْسَرُ

لقد ظل المكان مركز الصورة التشبيهية وعمادها، الذي استمد منه الشاعر مادته، كما أدى دورا جماليا متمثلا في القدرة على إيجاد العلاقات بين الأشياء.

ثانيا –المكان والصورة الإستعارية:

تعد الإستعارة لونا بلاغيا له مكانته في الشعر قديما وحديثا، سواء أكان عربيا أم غربيا.

يعرفها "عبد القاهرالجرجاني" بقوله: «اعلم أن "الإستعارة" في الجملة أن يكون للَّفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية».[1]

فهي إذن استعمال اللفظ في غير ما وضع له، ونقله عن أصله.

وعن خصائص الإستعارة التي تتلخص عنده في إبراز الفكرة واضحة جلية، وإظهار الصورة في مظهر حسن، يقول:«فإنك لترى بها الجماد حيًّا ناطقا، والأعجم فصيحا والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية...إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطَّفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون».[2]

فبواسطة الإستعارة يمكن تجسيم المعنوي المجرد كما يمكن إلباس المادي الملموس الطابع الروحي (تشخيص). مما يعني أن استعارة الأوصاف والخصائص لا تكون فقط

(1)– عبد القاهر الجرجاني ، إسرار البلاغة ، ص 30.
(2)– المصدر نفسه ، ص 43.

.

بين «الحسي والحسي، أو بين المجرد والمجرد، أو بين الحي والحي، أو بين الجماد والجماد، بل قد يستعير الشاعر للجامد صفات الحي والعكس صحيح، وقد يستعير للحسي صفات المعنوي والعكس صحيح».[1]

أما عن الصورة الإستعارية المتعلقة بالمكان، فتحققت من خلال ربط –الشاعر– عناصر المكان بصفات الحركة والحيوية، فلم يكن مجرد جماد، وإنما كان صورة حية من خلال صورتي التشخيص والتجسيم.

من بدائع الصور الإستعارية، وقوف "حسان" على الأطلال مشخصا إياها في صورة إنسان يحاوره ويريد منه إجابة، فهو القائل:[2]

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ الجَديدِ التَّكلُّمَا بِمَدْفَعِ أَشْدَاخٍ فَبُرْقَةِ أَظْلَمَا

أَبَى رَسْمُ دَارِ الحَيِّ أَنْ يَتَكَلَّمَا وَهَلْ يَنْطِقُ المَعْروفَ مَنْ كَانَ أَبْكَمَا

الصورة الإستعارية واضحة المعالم، حيث جعل الشاعر من الأطلال وكأنها إنسان عقد المحاورة بينه وبينها، لكنها محاورة عقيمة، فقد أبى رسم دار الحي أن يجيبه على سؤاله وهذا في قوله: وهل ينطق قولا الأيكم؟.

في السياق نفسه، يذهب "حسان"، في مطلع قصيدة مدح بها "الرسول"(صلى الله عليه وسلم)، بقوله:[3]

هَلْ رَسْمُ دَارِسَةِ المُقَامِ يَبَابِ مُتَكَلِّمٌ لِمُحَاوِرٍ بِجَوَابِ

الشاهد على الإستعارة هو قوله: متكلم لمحاور بجواب، يصف الشاعر الرسوم الدارسة وآثار الديار المتبقية التي أمست خرابا، وبفضل خياله الواسع استطاع أن يبعث الحياة من

(1)– فتيحةكحلوش ، بلاغة المكان ، ص 249.
(2)– حسان بن ثابت ، الديوان ، ص 216.
(3)– المصدر نفسه ، ص 22.

جديد في الديار الخربة ويسألها، لأنه يتمثلها أمامه تتكلم وتحاور، فقد تمكن الشاعر من استنطاق ومحاورة المكان حين شبهه بإنسان متكلم.

وإلى هذا النوع من الإستعارة ذهب "حسان"، حين قال:[1]

أَسَأَلْتَ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ بَيْنَ الجَوَابِي فَالبَضِيعِ فَحَوْمَلِ

وأصبح المكان صورة معبرة وحاملة لكثير من المعاني، وكل هذا مرده إلى قدرة الشاعر التخييلية، وهذا ما نجده في قول "حسان":[2]

وَيَثْرِبُ تَعْلَمُ أَنَّا بِهَا إِذَا التَبَسَ الأَمْرُ مِيزَانُهَا

وَيَثْرِبُ تَعْلَمُ أَنَّا بِهَا إِذَا قَحَطَ القَطْرُ نَوْآنُهَا

الشاعر استعار صفة العلم للمكان(يثرب)، وهي صفة تضفى على الإنسان، وتكراره لهذه الصفة في هذه الأبيات وفي أبيات أخرى، ما هو إلا إضافة معاني ومشاعر أعمق لهذه المدينة، وتعظيما لشأنها.

ويؤدي التشخيص دورًا بارزًا عندما يُحوّل المكان إلى إنسان يبكي، وهذا ما وجدناه عند "حسان"، في رثائه "الرسول"(صلى الله عليه وسلم)، حين قال:[3]

يُبَكُّونَ مَنْ تَبْكِي السَّمَوَاتُ يَوْمَهُ وَمَنْ قَدْ بَكَتْهُ الأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ

في هذا البيت وظف الشاعر الإستعارة التشخيصية أجمل توظيف لرسم صورة السماء والأرض، وبث الحياة فيهما فجعل منهما تبكيان على "الحبيب المصطفى"(صلى الله عليه وسلم)، مما زاد من جمالية الصورة.

(1)– المصدر السابق ، ص 183.
(2)– المصدر نفسه ، ص 248.
(3)– المصدر نفسه ، ص 62.

وفي صورة تشخيصية أخرى يقول "حسان" :[1]

مَتَى مَا تَقُدْ بِالبَاطِلِ الحَقَّ يَأْبَهُ وَإِنْ قُدْتَ بِالحَقِّ الرَّوَاسِيَ تَنقَدِ

إذ استعار الخضوع والطاعة للمكان الطبيعي(الرواسي)، وهي صفات للإنسان وليس للجماد، ولكن الشاعر وظفها للمكان(الرواسي) وبشكل تشخيصي مانحا المكان الخضوع والطاعة.

ويستعير "حسان" في موقف آخر التجهم للأرض، حين قال:[2]

أَتَانَا رَسُولُ اللهِ لَمَّا تَجَهَّمَتْ لَهُ الأَرْضُ يَرْمِيهِ بِهَا كُلُّ مُوفِقِ

فالمكان هنا تحول من جامد إلى مكان حيوي يمتلك صفات ومواقف الإنسان، حيث شبه الأرض بالإنسان المتجهم فحذف الإنسان وأبقى لازمة من لوازمه ألا وهي التجهم.

من خلال هذه الإستعارات، استطاع الشاعر أن يبث في المكان صورة مفعمة بالحياة والحركة، كما أعطاه بعدا جماليا، فضلا عن ذلك ما أضفاه عليه من أحاسيس وخيالات جعلت منه –المكان– يشاركه أفراحه وأقراحه.

ثالثا – المكان والصورة الكنائية:

الكناية طريقة من طرائق البلاغة، وهي من الصور الأدبية التي تعطي بعدا جماليا من خلال الإيحاء والإشارة، عوضا عن التصريح.

يقول "عبد القاهر الجرجاني" في تعريف الكناية: «أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه».[3]

(1)– المصدر السابق ، ص 80.
(2)– المصدر نفسه ، ص 172.
(3)– عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 66.

نلمس من هذا التعريف أن الكناية تحمل معنى الخفاء، والغموض الذي يدعو إلى إعمال العقل والفكر حتى يصل لعمق الصورة.

ويذهب "ابن الأثير" في بيان حد الكناية، بقوله: «فحد الكناية الجامع لها هو أنها كل لفظة دلَّت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز. والدليل على ذلك أن الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشيء وتريد غيره، يقال: كنيت بكذا عن كذا، فهي تدل على ما تكلَّمت به وعلى ما أردته في غيره».[1]

فالكناية عند "ابن الأثير" تأخذ معنى الحقيقة، ومعنى المجاز، ويجوز حملها على الحقيقة، كما يجوز حملها على المجاز.

كما يرى أن في الكناية معنيين: أحدهما مستور، والآخر واضح «فإن المستور فيها هو المجاز، لأن الحقيقة تفهم أولا ويتسارع إليها الفهم قبل المجاز، لأن دلالة اللفظ عليها دلالة

وضعية، وأما المجاز فإنه يفهم بعد فهم الحقيقة، وإنما يفهم بالنظر والفكرة، ولهذا يحتاج إلى دليل، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ، فالحقيقة أظهر والمجاز أخفى».[2]

وتكمن أهمية الكناية في القدرة على رسم الصورة الأدبية، من خلال تجسيد المعنى وتقريبه من ذهن السامع، ولكن بشكل غير مباشر، فالأخذ بالدلالات الحقيقية لا يفي بالغرض، وبذلك يلجأ الشاعر إلى نقل المفردات من دلالاتها الأصلية إلى دلالات أعمق وفقا لحيلة يتبعها.[3]

أما عن المكان في الصورة الكنائية، فقد كان باعثا من بواعثها ومكونا من مكوناتها

ومن هذه الصور قول "حسان" في مقدمة طللية يصف فيها منازل "بني جفنة" من ملوك

(1)– ابن الأثير ، المثل السائر ، ص 52.
(2)– المصدر نفسه ، ص 54.
(3)– ينظر: محمد عبيد صالح السبهاني، المكان في الشعر الأندلسي ، ص 185.

"الغساسنة"، الذين امتدحهم في الجاهلية، فأكرموه وبالغوا في ذلك:[1]

دِيَارٌ مِنْ بَنِي الحَسْحَاسِ قَفْرٌ تُعَفِّيهَا الرَّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ

وَكَانَتْ لاَ يَزَالُ بِهَا أَنِيسٌ خِلاَلَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاءُ

فحركة النعم والشاء في المروج جائية وذاهبة كناية عن العيش والرفاه والتَّرف الذي كان في الديار قبل أن يحل بها ما حل.

فقد رسم "حسان" صورته الكنائية، من تذكر الديار التي بعثت في نفسه إحساسا بالحنين إلى الماضي.

ومن الصور الكنائية القائمة على المكان، قوله:[2]

وَاللَّيْلَةَ الظَّلْمَاءَ أُدْلِجُهَا بِالقَومِ فِي الدَّيْمُومَةِ القَفْرِ

يَنْعَى الصَّدَى فِيهَا أَخَاهُ كَمَا يَنْعَى المُفَجَّعُ صَاحِبَ القَبْرِ

وَتَحُولُ دَونَ الكَفِّ ظُلْمَتُهَا حَتَّى تَشُقَّ عَلَى الَّذِي يَسْرِي

يصف "حسان" في هذه الأبيات إحدى رحلاته، فيورد عددا من الكنايات ليعزز هذا الجهد والقصد، بأسلوب الإيحاء لا التصريح وهذا في قوله: الليلة الظلماء أدلجها، ينعى الصدى، ينعى المفجع، تحول دون الكف، تشق على الذي يسري، كلها كناية عن صعوبة المكان.

ومن هذه المعاني، قوله:[3]

رُبَّ خَرْقٍ أَجَزْتُ مَلْعَبَةَ الجِنِّ وَمَعِي صَارِمُ الحَدِيدِ إِبَاطِي

(1)– حسان بن ثابت ، الديوان ، ص 18.
(2)– المصدر نفسه ، ص 105.
(3)– المصدر نفسه ، ص 144.

فقوله: رب خرق أجزت ملعبة الجن، كناية عن وحشة المكان القفر الخالي الذي يحتضن الموت والهلاك.

واتخذ "حسان" من المكان –الأرض، القمر– ضالته، ليرسم صورته الكنائية المعبرة عن حزنه الشديد لفقدان "حمزة بن عبد المطلب"، قائلا:[1]

أَظْلَمَتِ الأَرْضُ لِفُقْدَانِـهِ وَاسْوَدَّ نُورُ القَمَرِ النَّاصِلِ

فصورة الأرض المظلمة، ونور القمر الذي أصبح أسودا كناية عن شدة الحزن الذي أصاب "حسان" .

وفي يوم (بدر) حين ادعى المشركون بأن حصونهم محمية وأن ماء (بدر) غير مورود، يرد "حسان" عليهم قائلا:[2]

وَقَدْ وَرَدْنَا وَلَمْ نَسْمَعْ لِقَوْلِكُمْ حَتَّى شَرِبْنَا رَواءً غَيْرَ تَصْرِيدِ

شكل المكان –بئر بدر– بؤرة الصورة الكنائية، والتي تكمن في قوله: حتى شربنا رواءً غير تصريد، وهي كناية عن النصر المبين.

وللشاعر صور كنائية أخرى منها، قوله:[3]

وَأَلْفَيْتُهُ بَحْرًا كَثِيرًا فُضُولُـهُ جَوادًا مَتَى يُذْكَرْ لَهُ الخَيْرُ يَزْدَدِ

فبحر "حسان" كناية عن كرم الممدوح.

ويستمد الشاعر صورته الكنائية من الجبل منبع العلو والرفعة والثبات، إذ يقول:[4]

هُمْ جَبَلُ الإِسْلاَمِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ رِضَامٌ إِلَى طُودٍ يَرُوقُ وَيَقْهَرُ

(1)– المصدر السابق ، ص 195.
(2)– المصدر نفسه ، ص 55.الرواء : الماء الذي يروي . التصريد : الشرب دون الري. شراب مصرّد: مقلل .
(3)– المصدر نفسه ، ص 82.
(4)– المصدر نفسه ، ص 109. الرضام : جمع رضمة و هي الصخرة العظيمة . الطود : الجبل .

فالجبل كناية عن المكانة العظيمة التي بلغها "آل هاشم"، فهم جبل الإسلام الأشم

والناس من حولهم حجارة تتراكم فوق بعضها إذا ما قورنت بذلك الطود العظيم، وفضلا عن ذلك فقد جمع "حسان" إلى هذه الصورة الكنائية الفخر والاعتزاز.

ويقول أيضا: [1]

وَأَكْرَمَ حَيًّا في البُيُوتِ إذَا انْتَمَى وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسَوَّدُ

أراد "حسان" أن يثبت بعض الصفات "للرسول"(صلى الله عليه وسلم)، فترك التصريح بها مباشرة وعدل إلى التلميح في قوله: وأكرم حيا في البيوت إذا انتمى، كناية عن النسب الشريف الذي ينتسب إليه(صلى الله عليه وسلم).

مما تقدم يتبين أن المكان كان عنصرا هاما في بناء الصورة الكنائية، وكان توظيفه إيحائيا من خلال ما توحي به تلك الأماكن.

وأما فيما يخص الصورة الشعرية بصفة عامة، فقد شغلت حيزا لا يستهان به، فقد أضفى عليها الشاعر طابعه الخاص، وكانت أهميتها في كيفية التصوير «فبقدر ما ينشط خيال الشاعر بقدر ما تتعدد دلالات المكان المصور في النص الشعري».[2]

إذن، فخيال الشاعر مرتبط ارتباطا كبيرا بدلالة المكان المصور في النص الشعري فكلما كان الخيال خصبا تعددت دلالات هذا المكان المصور، وظهرت جمالياته وزادت درجة تأثيره.

(1)– المصدر السابق ، ص 64. انتمى : انتسب . ابطحيا : نسبة إلى الأبطح بمكة.
(2)– فتيحة كحلوش ، بلاغة المكان ، ص 286.

خاتمة:

تطلـع البحـث فـي موضـوع"دلالـة المكـان" فـي ديـوان"حسـان بـن ثابـت" إلـى دراسـة المكـان وتبيـين دلالتـه فـي شـعر هـذا الأخيـر، ولسـنا نقـول أننـا أتينـا علـى كـل مـا يمكـن أن يقـال فـي هـذا الموضـوع، فالمكـان الشـعري عنـد"حسـان" يتطلـب أكثـر مـن بحـث ودراسـة بـالنظر إلـى كثافـة حضـوره، ولقـد حاولـت أن أحـيط بـبعض تشـعباته . مـا استطعت إلى ذلك سبيلا .، وقد تمخضت هذه الدراسة عن نتائج أهمها :

– حظـي المكـان بعنايـة فائقـة مـن الفلاسـفة والمفكـرين والدّارسـين قـديما وحديثا،لأنـه فضاء يتماهى فيه الزمن.

– شـكل المكـان حضـورا دائمـا لـدى الشـاعر العربـي منـذ العصـر الجاهلي،وانعكسـت آثاره على الشاعر العربي سلبا ، وإيجابا، بما يتركه من أثر في نفسه.

– اكتسـب المكـان أهميتـه فـي شـعر" حسـان بـن ثابـت" ، حيـث اسـتطاع أن يحـول المكان الواقعي فيضفي عليه من روحه الشاعرة ليرسم لوحته الفنية المعبرة.

– كـان للمكـان أثـره فـي الغـرض الشـعري، مـع العلـم أن مـن سـمات الشـعر العربـي القديم تداخل الأغراض فيما بينها.

– تجسّـد المكـان فـي الغـزل، لكونـه المـدخل الـرئيس الـذي يلـج مـن خلالـه الشـاعر كـي يظهر ما يختلج في نفسه، فأصبح جزء من الغزل وسببا من أسباب وجوده.

– اتخـذ"حسـان" مـن المكـان الطبيعـي، والأطـلال، وأمـاكن الرحلـة منفـذا للوصـول إلـى الممدوح.

– استطاع"حسان" من خلال الوصف أن يعقد صلة بينه وبين المكان.

–انعكست آثار بعض الأماكن سلبا على"حسان"، فهجاها مجسّدا عداءه تجاهها.

– تعددت صور المكان ودلالاته في شعره،وذلك من خلال:

أ – الطلل الذي يعتبر أقدم نموذج تتجلى فيه التجربة المكانية.

ب – المدينـــة التـــي احتلـــت مكانـــة لا يســـتهان بهـــا فـــي قلـــب" حســـان" ، فقـــد بـــدت صورتها في شعره نموذجا دلاليا امتزجت فيه العلاقات الإنسانية المختلفة.

ج –الأماكن الطبيعية التي تتوزع على صور مكانية:

كصورة الصحراء،الجبال، الوديان، الكثبان، الحرار، المياه .

د – كـــان حضـــور المكـــان الـــديني بصـــوره المتعـــددة انعكـــاس لثقافـــة الشـــاعر وتـــأثره الكبيـــر بالإســـلام، وبـــذلك ارتبطـــت الأمـــاكن المقدســـة بالعلاقـــات الروحيـــة التـــي أضـــفاها الشاعر عليها .

– بـرز المكـان الحلـم فـي شـعر" حسـان بـن ثابـت" مـن خـلال خيالـه المبـدع، وقـد كـان في قسمين:

أ– المكان المتخيل(طيف الخيال): الذي يكون وجوده مرهونا بالتخيل لا بالواقع.

ب – المكـــان الحلـــم غيـــر المعـــيش المتمنـــي الحصـــول عليـــه: وهـــذا المكـــان يلغـــي الماضي والحاضر ويتطلع إلى المستقبل.

– مثل القبر بوصفه مكانا، النتيجة الحتمية التي يؤول إليها الإنسان بعد الحياة

كـان شـعر" حسـان" فـي صـدر الإسـلام متتبعـا للأمكنـة الحربيـة، كبـدر، وأحـد، ومؤتـة وغيرها.

– كـــان المكـــان عنـــده أحـــد العناصـــر المهمـــة التـــي طـــرزت الصـــورة الشـــعرية فزادهـــا جمالا، بأساليب بلاغية هي: التشبيه، الاستعارة، والكناية.

–ارتبط الزمان بالمكان عنده"حسان" لأن الزمان لا يتم إدراكه إلا من خلال المكان.

القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع. ط1، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق وبيروت. 2010م.

قائمة المصادر والمراجع

أولا- المصادر:

1- ابن الأثير،(ضياء الدين): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة. ط2، دار نهضة للطبع والنشر،مصر،(دت).

2- إخوان الصفاء: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، تقديم عليوش عبود.(دط)، موفم للنشر، الجزائر، 1428هـ - 2007م.

3- أمرؤ القيس: الديوان. ط 3. دار صادر، بيروت ، لبنان،2007م.

4- تأبط شرا: الديوان،اعداد وتقديم طلال حرب.ط1، دار صادر، بيروت، لبنان،1996م.

5- الجاحظ،(أبو عثمان عمرو بن بحر): الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون.

ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر،1965م.

6- الجرجاني،(عبد القاهر): أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر.(دط) دار المدني. جدة،(دت).

7- : دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر.(دط)، مكتبة الخانجي،(دت).

8- حسان بن ثابت: الديوان، شرحه وكتب هوامشه وقدم له عبدا مهنا.ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1423هـ -200 م

9- الحطيئة: الديوان، شرح ابن السكيت.ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(د ط).

10- الحموي،(ياقوت):معجم البلدان.(دط)، دار صادر، بيروت، لبنان،

1397 هـ - 1977م.

11- دار المشرق: المنجد في اللغة العربية المعاصرة.ط1، دار النشر بيروت لبنان،2001م

12- ابن رشيق القيرواني،(أبوعلي الحسن): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . ط 5 ، دار الجيل، بيروت، لبنان ، ج1 ، ج 2 ، 1401 هـ - 1981م .

13- زهير بن أبي سلمى: الديوان، شرحه وقدم له علي فاغور. ط3، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ، 1424 هـ -2003م.

14- الشنفرى: الديوان، إعداد وتقديم طلال حرب.ط1،دار صادر، بيروت، لبنان، 1996م.

15- العسكري،(أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل): الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.(دط)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،1986م.

16- عنترة بن شداد: الديوان.(دط)،دار صادر، بيروت ، لبنان(دت).

17- الفيروز أبادي،(مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي.(دط)، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1431 هـ ، 1432 هـ - 2010م.

18- إبن قتيبة، (عبد الله بن مسلم): الشعر و الشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر.(دط) دار المعارف مصر، (د ت).

19- قدامة بن جعفر،(أبو الفرج): نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى. ط2، مكتبة الخانجي القاهرة، (دت).

20 - لبيد بن ربيعة، الديوان. ط2 ، دار صادر ، بيروت، لبنان، 1429هـ- 2008م.

21 - ابن منظور: لسان العرب، ضبط نصه وعلق حواشيه خالد رشيد القاضي.ط1 دار صبح ، بيروت، لبنان، و أديسوفت، الدار البيضاء،ج 10 ،ج 12 ،ج13 2006م.

22 - النابغة الذبياني: الديوان،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط2، دار المعارف، القاهرة مصر،(دت).

ثانيا- المراجع:

1- أحمد مطلوب: فنون بلاغية البيان - البديع .ط1، دار البحوث العلمية، الكويت 1395 هـ- 1975م.

2- إيان واط: نشوء الرواية، ترجمة ثائر ديب.ط2، دار الفرقد، سورية،200

3 - باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي. ط1، جدارا للكتاب العالمي،عمان، الأردن، وعالم الكتب الحديث،اربد، الأردن،1429هـ- 2007 م.

4- جماعة من الباحثين: جماليات المكان، ترجمة وتقديم سيزا قاسم. ط2، الدار البيضاء المغرب، 1988م.

5- حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية.(د ط) ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2011م.

6- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي الفضاء- الزمن - الشخصية.ط2، المركز العربي الدار البيضاء، المغرب، 2009م.

7- حسن نجمي: شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية.(د ط)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان،(د ط).

8- حسين علي الدخيلي: الفضاء الشعري عند الشعراء اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي. ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 2010م.

9- حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي.(د ط)، الدار البيضاء 1993م.

10- حنان محمد موسى حمودة : الزمكانية و بنية الشعر المعاصر أحمد عبد المعطي نموذجا . ط 1 ، جدارا للكتاب العالمي ، عمان ، الأردن ، و عالم الكتب الحديث، إربد الأردن ، 2006 م.

11- حيدر لازم مطلك: الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي. ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1431 هـ - 2010م.

12- ابن رشيق القيرواني،(أبو علي الحسن): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. ط5، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1981م.

13- زبير دراقي: المفيد الغالي في الأدب الجاهلي.(د ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1994م.

14- سيزا قاسم: بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ.(د ط)، هيئة الكتاب مصر، 2004م.

15- الشريف المرتضى: الطيف والخيال، تحقيق حسن كامل الصيرفي. ط1، دار احياء الكتب الغربية، 1962م.

16- صلاح الدين عبد التواب: الصورة الأدبية في القرآن الكريم. ط1، الشركة العالمية للنشر لونجمان، مصر، 1995م.

17- طاهر أحمد مكي: أمرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية حياته وشعره.(د ط)، دار المعارف، مصر، 1968م.

18- عز الدين اسماعيل: التفسير النفسي للأدب. ط4. مكتبة غريب،(دت

19- : روح العصر. ط1، دار الرائد العربي، بيروت، 1972م

20- غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا. ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1404 هـ - 1984م.

21- فتيحة كحلوش: بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري. ط1، مؤسسة الإنتشار العربي، بيروت،لبنان، 2008م.

22- كمال أبو ديب: جدلية الخفاء والتجلي.(دط)، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م

23- محمد عبيد صالح السبهاني: المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة. ط1، دار الآفاق العربية، مصر، 1428هـ - 2007م.

24- نوري حمودي القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي. ط1، دار الإرشاد، بيروت، لبنان 1970م.

25- يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي. ط2، دار المعارف كورنيش النيل، القاهرة، مصر ،(دت).

ثالثا- الرسائل الجامعية:

1-زينب بوصبيعة: المدينة في الشعر الأندلسي،(رسالة دكتوراه)، جامعة الأمير عبد القادر، إشراف الربعي بن سلامة، 2006م.

2- ساهرة عليوي حسين العامري: المكان في شعر ابن زيدون،(رسالة ماجيستير)، جامعة بابل، إشراف هناء جواد عبد السادة، 2008م.

3-مسعود بن ساري: تلمسان في الشعر الجزائري القديم في العهدين الزياني والعثماني،(رسالة ماجيستير)، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، اشراف مشري بن خليفة 2008.

رابعا- المجلات والدوريات :

1- أحمد محمد عبد الخالق: « قلق الموت». ط1، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1987م.

2- حسين مؤنس:« المساجد».(د ط)، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،1978م.

3- مسلم حسب حسين: «الصورة الحلمية والصورة الشعرية» ، مجلة الأقلام، ع ع7،8 1992م.

خامسا- القواميس الفرنسية:

1-Christine cher، PatriciaGautier : dictionnaire de francais hachette طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية،الجزائر 1993م،1992.

2-Martyn Backer Silke Zummermann avec la collaboration de zaurence laporte :dictionnaire le robert، sejer، paris، 2005.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الآية	
الإهداء	
شكر و تقدير	
مقدمة	أ- ج
مدخل	
أولا- المفهوم اللغوي للمكان	2- 3
ثانيا- المفهوم الفلسفي للمكان	4- 6
ثالثا- المفهوم الأدبي للمكان	6
1-1-مفهوم المكان عند النقاد الغربيين	6- 9
1-2-مفهوم المكان عند النقاد العرب	10- 12
رابعا- المكان في العصر الجاهلي و عصر صدر الإسلام	13- 20
الفصل الأول : المكان و الغرض الشعري	
تمهيد	22
أولا- المكان و الغزل	22- 30
ثانيا- المكان و الوصف	30- 35
ثالثا – المكان و المديح	35-41
رابعا- المكان و الفخر	41- 45
خامسا- المكان و الرثاء	45- 49
سادسا – المكان و الهجاء	49- 52
الفصل الثاني : صور المكان و دلالاته	
تمهيد	54
أولا –المكان (الطلل)	54
1-1-الطلل و ثنائية الحاضر / الماضي	55-56
1-2- الطلل و ثنائية الانقطاع / الاتصال	56-57
1-3- الطلل و ثنائية الجدب/الخصب	75- 59
ثانيا- المدنية	59-62
ثالثا – الأماكن الطبيعية	62
1-1- الصحراء	62-63
1-2 - الجبال	64- 66
1-3- الكثبان	66
1-4- الوديان	67- 68
1-5- الحرات	68
1-6- المياه	69-71

رابعا – الأماكن المقدسة	75-71
خامسا – المكان الحلم (الأعلى)	75
1-1-المكان الحلم المتخيل	76
أ- المكان (طيف الخيال)	78-76
1-2- المكان الحلم غير المعيش المتمني الحصول عليه	79-78
سادسا – القبر (الأسفل)	81-79
سابعا- الأماكن الحربية	84-81
الفصل الثالث : المكان و الصورة الشعرية	
تمهيد	87-86
المكان و الصورة الشعرية	88-87
أولا – المكان و الصورة التشبيهية	93-89
ثانيا- المكان و الصورة الاستعارية	96-93
ثالثا- المكان و الصورة الكنائية	100-96
خاتمة	103-102
قائمة المصادر و المراجع	105
أولا - المصادر	107-105
ثانيا- المراجع	110-107
ثالثا - الرسائل الجامعية	110
رابعا – المجلات و الدوريات	110
خامسا – القواميس بالفرنسية	111
فهرس الموضوعات	113-112
الملخص بالعربية	
الملخص بالإنجليزية	

ملخص البحث :

تطرق هذا البحث إلى دراسة دلالة المكان في شعر"حسان بن ثابت"، لما للمكان من أهمية قصوى في تشكيل بنية النص الشعري. والمتأمل في قصائد"حسان" يجد أنها انعكاس لواقعه المعيش، وأمانيه، وتطلعاته.

اشتمل البحث على مدخل وثلاثة فصول وخاتمة، ثم قائمة المصادر والمراجع.

فأما المدخل، فتناول مفهوم المكان في اللغة، والفلسفة، والأدب، ولمحة عن المكان في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام.

تضمن الفصل الأول المكان والغرض الشعري، وكيف تشكل المكان مع أغراض الغزل ، والمديح، والوصف، والفخر، والرثاء، والهجاء، وكل هذه الارتباطات لها عناية وعلاقة بالمكان ومدلولاته.

كما عالج الفصل الثاني صور المكان ودلالاته، وهذا من خلال رصد وتحليل صوره. إذ إن تنوع الأمكنة الحاضرة في النص الشعري، يعكس علاقات الشاعر المتنوعة بالمكان، من طلل، ومدينة، وأماكن طبيعية، وأماكن مقدسة، وأماكن الحلم، وأماكن الحروب، والقبر.

في حين رصد الفصل الثالث أهم الظواهر الفنية ذات الصلة بالمكان، وركز بخاصة على علاقة المكان بالصورة الشعرية، وبين الكيفية التي ينبني بها المكان من خلال صور شعرية: من تشبيه، وكناية، واستعارة.

أما الخاتمة، فتضمنت النتائج التي توصل البحث إليها، و قد أردفت بقائمة المصادر و المراجع المرتبة ترتيبا ألف بائيا .

Abstract

Abstract :

This study deals with the signification of place in the poetry of Hassan IBenTabet. The place is of pivotal importance in forming the poetic structure. A reflector on Hassan's poems find that they reflect his real life, his wishes and aspirations.

This research work is composed of an introduction, three chapters, a conclusion, I addition to a list of sources and documents.

The introduction discusses the notion of place in language, philosophy, and literature , in addition to an overview of the place in the pre-Islamic and the Islamic period.

The first chapter discusses place in relation to poetry, and how place interacts with poetry of love, praise, description, the elegy, and criticism. All these things are intricately interrelated with place and its signification.

The second chapter deals with the image of the place and its signification through analyzing its evocation. The variety of places reflect the poet's different relations with the place, like the city, nature, holy places, places of dream, places of war, and the tomb.

The third chapter deals with the most important artistic phenomenon, which are related to the place. Its main focus is the interrelatedness between the place and the poetic image, and between the way the place is constructed through a poetic image like the simile, metaphor, and the allusion.

The conclusion deals with the main results this research has reached, and it is followed by a list of references listed in an alphabetical order.